الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

مفهوم الإعجاز ووجوهه
عند الباقلاني (ت403هـ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة اليسانس في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبتين:

- ✓ **وردة مداحي**
- ✓ **كهينة زواوي**

تحت إشراف الأستاذ:

*** عبد القادر تواتي**

السنة الجامعية

1433هـ - 1434هـ / 2012 م - 2013 م

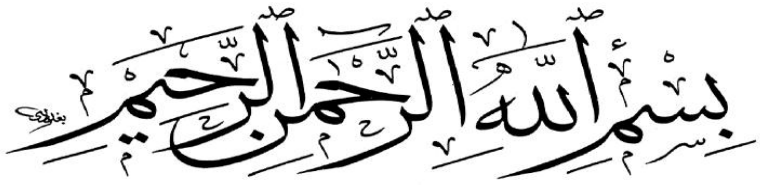

﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

سورة الإسراء: آية 88.

شكر و تقدير

أولا وقبل كل شيء نحمد الله عز وجل ونشكره على نعمته، فبفضله استطعنا إتمام هذا العمل، كما نتقدم بجزيل الشكر لكل من أعاننا من قريب أو من بعيد حتى ولو بابتسامة في إنجاح هذا العمل، ونخص بالذكر أستاذنا الكريم المشرف عبد القادر تواتي، الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه.

وكذلك نشكر كل من ساعدنا على إتمام هذا العمل وقدم لنا العون ومد لنا المساعدة ونخص بالذكر رزيقة زواوي وأحسن مداحي.

"جزاهما الله خيرا"

إلى صديقاتنا: فضيلة، فتيحة، رحمة، جميلة، دليلة، نسرين، سارة، إكرام، مريم، رزيقة وخديجة وإلى جميع الصديقات.

شكرا جزيلا للجميع

الإهداء

باسم الخالق الذي أضاء الكون بنوره، وحده أعبده، وحده أسجد خاشعة شاكرة لنعمته وفضله علي في إتمام هذا الجهد.

إلى صاحب الفردوس الأعلى وسراج الأمة المنير شفيعنا النذير البشير محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من أثقلت الجفون سهرا، وحملت الفؤاد هما وجاهدت الأيام صبرا وشغلت البال فكرا ورفعت الأيادي دعاء وأبقيت بالله أملا أغلى الغوا لي وأحب الأحباب أمي العزيزة الغالية " سعدية"

إلى من أهداني الحرية، وتركني على درب العلم طليقة، ومنحني الثقة فكان في مسيرتي الرفيق، إلى رمز التحدي والعمود أبي الغالي" محمد"

إلى إخوتي وأخواتي: لويزة، زهيرة، حفيظة، مسعودة، إبراهيم، أحسن، عبد اللطيف وخاصة أخي الغالي والأحب إلى قلبي الذي ساعدني كثيرا في إنجاز هذا العمل والذي أتمنى له النجاح في حياته أخي " عبد الحميد".

وردة

الإهداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع لمن قال فيهما الرحمن عز وجل: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه و بالوالدين إحسانا"

إلى التي في بطنها حملتني وبعد الآلام وضعتني، ومن حليبها سقتني سقتني وإلى صدرها الدفيء حضنتني وبحنانها روتني حبيبتي وقرة عيني وأغلى الناس على قلبي أمي الغالية.

إلى الغالي الذي جاهد من أجل الحياة والذي علمني الصبر والتحدي ولقنتني معنى الحياة فمكان نور دربي وتاج رأسي " أبي"

أمد الله في عمرهما وأملى من الله رضاكما عني ودعاؤكما بي.

إلى من كانت تفهمني وتسمعني ومدعمتي وحبيبتي، أختي الغالية رزيقة.

ألى من رأى التفاؤل بعينيها والسعادة في ضحكتها أختي الغالية " نينو"

إلى شموع بيتنا رياحين حياتي أحمد، أعمر، أمين.

إلى كتف أبي الأيمن أخي الغالي مراد، إلى العزيز على قلبي أخي سمير،

إلى وحيدة ابنه عمي أمينة وإخوتها أحمد ومحمد.

إلى توأم روحي وبلسم جروحي إلى من قاسمتني دمعتي وابتسامتي أبنه عمي نعيمة، وزوجة عمي رحمه الله فتيحة.

إلى كل من يحمل لقب زواوي ومقراني.

إلى صديقاتي المقربات: فضيلة، دليلة، جميلة، سارة، إكرام، رحمة، رزيقة، غنية، دليلة داود.

إلى من قاسمتني هذا العمل صديقتي الحنونة وردة.

إلى كل من تسعهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي.

كهينة

مقدمة

مقدمة:

الحمد لله الذي هدانا للإيمان، ومن ّعلينا بدين الإسلام، وجعل كتابنا أحسن الكتب المنزلة، كما جعل رسولنا أعظم الرسل المرسلة، وأيده بمعجزة القرآن، الباقية على مر الزمان، لأنها تخاطب الإنسان في كل مكان، وتحاور العقول والقلوب في كل آن، وتتجلى للأسماع والأبصار على تعاقب الليالي والأيام.

إن المعجزة القرآنية دفعت العلماء لدراستها دراسة فاحصة لذا تكونت دراسات مهمة في علوم القرآن عموما وفي الإعجاز خصوصا.

فكانت مسألة إعجاز القرآن من أهم المسائل التي تناولوها بالبحث في ثنايا كتبهم وتفسيرهم للقرآن، والرد على منكري النبوة، ومن بين هؤلاء العلماء الإمام الباقلاني الذي أكد على هذه المسألة من خلال كتابه إعجاز القرآن.

ولعل من أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع ما يلي:

✓معرفة الإعجاز القرآني، وإدراك عظمة الكلام الرباني من أهم المعارف وأشرفها ومن أجلى العلوم وأعظمها.

✓النظر في إعجاز هذا الكتاب المبين، ليتضح لنا فضله وأهمية، وقديما قيل: شرف العلم يتعلق بشرف المعلوم، والمعلوم هنا كتاب الله تعالى وهو الذي لم يسمع بمثله بشر، ولا يصل إلى عظمة تشريعه مذهب أو قانون.

✓تنمية ملكة الفهم والاختيار والبناء الجيد.

وهذه الأسباب دفعتنا لطرح الإشكالية التالية:

ما هو الإعجاز؟ وكيف عرفه الباقلاني؟ وما هي دلائل وجوده ووجوهه عنده وما الجديد الذي أضافه إلى اجتهاده وأقوال سابقيه في هذا المجال؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اتبعنا الخطة التالية:

قسمنا بحثنا إلى فصلين وجعلنا الفصل الأول: وعنوانه مدخل إلى إعجاز القرآن الكريم، فكان حديثنا فيه عن إعجاز القرآن ووجوهه بشكل عام.

والذي انطوى تحته مبحثان:

الأول: الإعجاز القرآني والذي قسمناه إلى ثلاثة عناصر، أولا: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحا، ثانيا: مفهوم الإعجاز لغة واصطلاحا، ثالثا: آيات التحدي وعجز محاولات المعارضة.

الثاني: وجوه إعجاز القرآن الكريم. والتي اختلف العلماء فيها.

أما الفصل الثاني فتحدثنا عن مفهوم الإعجاز ووجوهه عند الباقلاني، وهو أيضا في مبحثين:

الأول:الإعجاز قبل الباقلاني. لم تكن ظاهرة الإعجاز واضحة في القرنين الثالث والرابع لأن الأدباء أصبحوا يؤلفون كتبا مستقلة في البلاغة بعيدا عن أمور الدين ولم تتغير حتي القرن الخامس وذلك مع مجيء الباقلاني.
الثاني: الإعجاز عند الباقلاني: الذي يضم ثلاثة عناصر، أولا: ترجمة الباقلاني، ثانيا: التعريف بكتابه، ثالثا: مفهوم الإعجاز عنده، رابعا: وجوه الإعجاز عنده.

وبينا هذه الدراسة بخاتمة حاولنا من خلالها الوقوف على أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث.

اعتمدنا في بحثنا هذا على منهج تاريخي وصفي مستدلين بتاريخ إعجاز القرآن وطريقة وصفه عند الباقلاني.

وأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها متنوعة وكثيرة أهمها إعجاز القرآن للباقلاني وفكرة إعجاز القرآن لنعيم الحمصي، والمعجزة الكبرى لمحمد أبو زهرة، والنكت في إعجاز القرآن للرماني، وبيان إعجاز القرآن للخطابي، مباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم وغيرهم.

من بين الصعوبات التي واجهتنا:

- قلة البحوث والدراسات الأكاديمية في هذا الموضوع على مستوى جامعتنا.
- صعوبة الحصول على الكتاب في جامعتنا مع افتقارها للكثير من المصادر والكتب النفسية مما كان يحتم علينا سلك كل الطرق للحصول عليها.

ولأن حلاوة العمل وقيمته تكمن في الصعوبات التي تعترضه فكانت سعادتنا كبيرة بمواجهتنا، ولقد لعب الصبر والتشجيع من الأستاذ المشرف دورا كبيرا في التغلب عليه.

وأخيرا لا ندعي لهذا البحث كمالا فالنقص من سيمات البشر والكمال لله وحدة وحسبنا أننا أخلصنا الجهد، ولا توفيقنا إلا بالله العلي القدير.

I-الفصل الأول

مدخل إلى إعجاز القرآن الكريم

1- المبحث الأول: الإعجاز القرآني

2- المحث الثاني: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم

1- الإعجاز القرآني:

1- 1 تعريف القرآن الكريم:

أ- **القرآن لغة:** من قرأ مرادف للقراءة، نقول قرأ الكتاب, قراءة وقرآنا :

تتبع كلماته نظرا ونطق بها أو لم ينطق بها، و سميت حديثا بالقراءة الصامتة.

والآية من القرآن: نطق بألفاظها عن نظر أو عن حفظ فهو قارئ.[1]

فالقرآن كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، قال تعالى:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[2] : قراءته.[3]

وجاء في لسان العرب: " معنى القرآن معنى الجمع، ويسمي قرآنا، لأنه يجمع السّور فيضمها .وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[4] أي جمعه وقراءته"[5]

أما القرآن، فيقال(قرآن)، و(قران) بغير همز من باب التخفيف، وهو" اسم غير مشتق من شيء بل هو اسم خاص بكلام الله، وقيل مشتق من القرْي وهو الجمع، ومنه: قَرَيْتُ الماء في الحوض أي جمعته"[6]

وجاء في الإتقان: أنه مأخوذ من (القرائن) لأن الآيات منه يصدق بعضها بعضا ويشابه بعضها بعضا، فهي حينئذ قرائن.[7]

---

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 1425 هـ، المادة: ج2، ص 722.

[2] سورة القيامة، آية 17.

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994 م،ج1، ص 494.

[4] سورة القيامة، أية 16.

[5] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج 1، دار صادر بيروت، 1414 هـ، ج3، ص129 .

[6] بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1410 هـ، ج1، ص 279.

[7] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مطبعة حجازي بالقاهرة، ط 1، ج1، ص162.

" والقرآن في الأصل مصدر، نحو كفران ورجحان... وقد خصّ بالكتاب المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – فصار له كالعلم... وقال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه بل لحجمه ثمرة جميع العلوم" [1] .

وقال صاحب المناهل:" هو في اللغة مصدر مرادف للقراءة...ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي – صلى الله عليه و سلم– من باب إطلاق المصدر على مفعوله، ذلك ما نختاره استنادا إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق".[2]

ثم ضعف سائر ما قيل فيه من أقوال بقوله: أما القول بأنه وصف من القرء بمعنى الجمع، أو أنه مشتق من القرائن، أو أنه مشتق من قرنت الشيء، أو أنه مرتجل موضوع من أول الأمر علما على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من (أل)، ولا من بعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة وعلى الرأي المختار فلفظ قرآن مهموز، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف وإذا دخلته (أل) بعد التسمية فإنما للمح الأصل لا للتعريف.[3]

ورأيه قريب ما ذهب إليه الراغب والزركشي رحمهم الله تعالى.

ب- **القرآن اصطلاحا:** لقد تعددت تعاريف العلماء للقرآن، بسبب تعدد الزوايا التي تنظر العلماء منها إلى القرآن– وإن كان التعبير بأنه الكلام المعجز كافيا– ونحن نختار هنا التعريف المناسب لغرض دراستنا، " القرآن الكريم هو كلام الله المنزل

[1] الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داودي، توزيع دار البشير، جدة، ط 2 ، 1417 هـ ص 414.

[2] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1415 هـ، ج1، ص7.

[3] نفسه، ص50.

على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المعجز ولو بسورة منه".[1]

القرآن أشهر من أن يعرف، يكفي في تعريف القرآن تعريفا تحديديا الإشارة إليه مكتوبا في المصحف أو مقروءا باللسان فنقول: هو ما بين الدفتين.

أما ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس والفصول كما تعرف الحقائق الكلية فإنما أرادوا به تقريب معناه وتميزه عن بعض ما عداه مما قد يشاركه في الاسم ولو توهما، ذلك أن سائر كتب الله والأحاديث القدسية وبعض الأحاديث النبوية تشارك القرآن في كونها وحيا إلهيا، فربما ظن ضان أنها تشاركه في اسم القرآن أيضا، فأرادوا بيان اختصاص الاسم به ببيان صفاته التي امتاز بها عن تلك الأنواع.[2]

وقال صاحب المناهل معلقا على التعريف السابق: "ولا يخفى عليك أن هذا التعريف كان يكفي فيه ذكر بعض تلك الأوصاف ويكون جامعا مانعا، غير أن مقام التعريف مقام إيضاح وبيان فيناسبه الإطناب".[3]

1-2 مفهوم الإعجاز:

أ_الإعجاز في اللغة: عجز: عجز الشيء: يعجز عجزا فهو عاجز، أي: ضعيف.

ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه،[4] فمعنى الإعجاز: الفوت والسبق.[5]

---

[1] نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، ط 1، 1414 هـ، ص 10.

[2] محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط 3، 1421 هـ، ص 9-10.

[3] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 12.

[4] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر بيروت، ط 1 1399 هـ، ج2، ص232.

[5] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج 1، دار صادر بيروت 1414هـ، ص 2816.

يقال أعجزت فلانا: إذا جعلته عاجزا. فالمعجزة هي اسم فاعل من أعجز، لحقته تاء التأنيث، ثم صارت تطلق على ما يأتي به النبي من فعل خارق للعادة يؤيد به نبوته.[1]

وقد يجمع بين أصلي معنى الإعجاز فيقال: " العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخرة ... وصار في التعارف اسما مقصودا عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة، فقال تعالى:﴿أعجزت أن أكون﴾.[2]

وأعجزت فلانا وعجّزته وعاجزته: جعلته عاجزا، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾[3]"[4]

وقال صاحب تاج العروس: " أعجزه: صيّره عاجزا، أي عن إدراكه واللحوق به".[5] وقال الجرجاني: الإعجاز في الكلام أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق.[6]

ب_اصطلاحا: هو إثبات بأن القرآن هو كلام الله سبحانه وتعالى، فلو أنه ليس كلام الله لما صرف الله العرب عنه أن يأتوا بمثله، وأثبتوا أن إعجاز القرآن الكريم موجود، ولكنهم جعلوا هذا الإعجاز بالقدرة بمعنى أن قدرة الله سبحانه وتعالى قد صرفتهم عن أن يأتوا بمثله، وكان هدفهم نفي الإعجاز عن ذاتية القرآن في أن بشرا لا يستطيع أن

[1] نعم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن من عصر النبوة، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط 2، 1400 هـ، ص7.

[2] سورة المائدة، الآية 31.

[3] سورة العنكبوت، الآية 22.

[4] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 43.

[5] محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مطبعة حكومة الكويت، 1397 هـ، ج3، ص 286.

[6] علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت،ط1 ،1405 هـ، ص 31.

يأتي بمثله، وبهذا النفي الذي أرادوه أعطوا القرآن معجزة أخرى وهي معجزة القدرة، ومن الإعجاز اشتقت كلمة معجزة.[1]

والمعجزة تلك القدرة التي يجريها الله تعالي على أيدي أنبيائه لتكون دليلا على صدقهم وبرهانا على دعواهم فبينما كان تأكيد الله لرسله السابقين بآيات كونية تبهر الأبصار ولا سبيل للعقل من معارضتها كمعجزة اليد والعصا لموسي عليه السلام، وإحياء الموتى بإذن الله لعيسى عليه السلام كانت معجزة محمد صلى اله عليه وسلم في عصر مشرف على العالم، معجزة عقلية خالدة تتحدى العقل البشري إلى الأبد وهي معجزة القرآن بعلومه ومعارفه وأخباره.[2]

والمعجزة إما حسية تجابه الحواس، وتتحدى المقاييس المعروفة...وأغلب المعجزات التي سبقت معجزة بني الإسلام كانت من هذا النوع، أي كانت تقع في مجال الحس ولاسيما حاسة النظر حيث إنها في هذا المجال تتكشف للناس على صورة تكاد تكون واحدة لا اختلاف عليها بينهم وإما عقلية تواجه العقل وتلقاه بكل ما فيه من قوى الإدراك والاستبصار.[3]

وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم، وأكثر معجزات هذه الأمة الإسلامية عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهماهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيام خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذووا الأبصار.[4]

والمعجزة في رأي الشعراوي: "هي لا تأتي فقط بخرق القوانين والتحدي، وإنما توفر أسباب هذا التحدي بمعنى أن القوم الذين يريد الله أن يتحداهم، يمكنهم من

[1] محمد متولي الشعراوي، المعجز الخالدة، المكتبة العصرية ، صيدا، لبنان، د ت ط ، ج1، ص 40.

[2] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار صبح لبنان، ط 1، ص 132.

[3] نفسه، ص 148.

[4] عبد الرحيم ماردیني، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار آية بيروت، دار المحبة، دمشق، ط 1، ص 15-16

الأسباب كلها، ثم بعد ذلك يعطل الأسباب فلا يتم الفعل.... مثل معجزة نجاة إبراهيم عليه السلام حينما سلبت خاصية النار في الإحراق وكانت بردا وسلاما عليه.[5]

ويعرف الزرقاني مصطلح إعجاز القرآن باعتباره مركبا إضافيا فيقول: "إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به"[1]

فهذا التعريف عام لإعجاز القرآن لا يتعلق بإثبات وجه من وجوه الإعجاز ولا نفيه. في حين هناك بعض التعاريف قصرت الإعجاز على وجه أو أكثر من وجوهه منها: "إعجاز القرآن: ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طوق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح لا الإخبار عن المغيبات، ولا عدم التناقض والاختلاف، ولا الأسلوب الخاص، ولا صرف العقول عن المعارضة..."[2]

1-3 آيات التحدي وعجز محاولات المعارضة: لما كان القرآن العظيم من حيث التأثير والوضوح في الذروة السامية والمكان الأرفع ولما كانت آياته العظام لا يشبهها شيء من كلام البشر ولا يدانيها شيء، لما كان شأنه كذلك كان من المسلمات البديهيات أن يتأثر الناس به وينقادوا لأحكامه طائعين ولكن فئة الكافرين أبت إلا أن تصم آذانها عن سماع الحق، وتغض أبصارها عن رؤية آثره في المؤمنين الصادقين فأعلنت كفرها، وادّعت أن هذا الحق المبين هو من نسخ النبي صلى الله عليه وسلم وما هو إلا أساطير الأولين، وهو سحر إلى أخر ما رموا به الكتاب العظيم، وأبو أن يذعنوا أنه من عند الله.

---

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ص 227.

[2] أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، تح :عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، ط 1، 1412 هـ، ص 149.

ولما اتهمت قريش رسول اله صلى الله عليه وسلم باختراع هذا الكتاب ونفت نسبته الإلهية صار من لازم هذا أنه جهد بشري يستطيع أن يؤتي بمثله، فليس بمعجز لمن رام معارضته.[1]

ولما كان هذا شأن الجاحدين النور المبين أنزل الله – تبارك وتعالى – آيات كريمات تطلب من الكافرين – على وجه التحدي – أن يأتوا بمثل هذا القرآن العظيم أو ببعضه، وقد نزلت هذه الآيات– مكيها ومدنيها– على رسول الله – صلى الله عليه وسلم في أزمنة متباعدة زيادة في تحدي الكافرين، وإمهالا لهم وتبكيتا فعجوا عن المعارضة عجزا تاما، لكنهم عاندوا عنادا سجل بمداد الخزي والعار في سجلات التاريخ وصحائفه.

وقد تدرجت هذه الآيات الكريمة بالكافرين، فطالبتهم بمثل القرآن العظيم، ثم طولبوا بعشر سور مثله، ثم طولبوا بسورة مثله،[2] فتنزل الطلب الإلهي من الأكثر إلى الأقل، مبالغة في الإعذار، وإمعانا في الإعجاز. قال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.[3] ومثلها قوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾.[4]

وهذا معناه أن القرآن صار معجزا لهم حيث أوقع بهم العجز والضعف والقصور والتأخر، وهو قد تفوق عليهم وفاتهم وسبقهم. ومعنى " إعجاز القرآن" هو عدم قدرة الكافرين على معارضة القرآن، وقصورهم عن الإتيان بمثله، رغم توفر ملكتهم البيانية.

---

[1] محمد موسى الشريف، إعجاز القرآن الكريم، دار الأندلس الخضراء اللنشر والتوزيع، جدة، سلسلة الرسائل الجامعية4، ص 54.

[2] أحمد مختار عمر، لغة القرآن، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط 2، 1418 هـ، ص 185.

[3] سورة الإسراء، الآية 88.

[4] سورة الطور، الآية 34.

وإعجاز القرآن للمنكرين له يدل على أنه كلام الله، وليس كلام أي مخلوق أخر، فلو كان كلام بشر لما عجز المنكرون عن معارضته وهذا يدل على أن محمدا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.[1]

ومن الأدلة الملموسة على ثبوت وصف الإعجاز للقرآن الكريم دلالة الواقع خلال التاريخ والقرون، غير أن أهم ما يزيد في جلاء هذا الدليل وتصوره وتجسيده أن قلة من الناس حاولوا فعلا أن يأتوا بشيء مثل القرآن في بلاغته وسمو أسلوبه وقد كانوا يأنسون أنفسهم من القدرة البلاغية (اللسانية) ما يجعلهم أهلا لهذه المغامرة ولكنهم لما أقدموا على ذلك نزلوا حتى عن المستوى الذي كانوا يقدرون عليه وجاءوا بكلام بارد مضحك يسخر بعضه من بعض، فمنهم مسيلمة الكذاب الذي تنبأ باليمامة أواخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقد زعم أن له قرآنا آخر يوحى إليه من السماء، وقد جاء قرآنه هذا فيما رووا قوله: "يا ضفدع بنت ضفدعين نقي ما تنقين، نصفك في الماء ونصفك في الطين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين".[2]

ومن ذلك قوله أيضا:"لا والخابزات خبزا والشادرات شردا واللاقمات لقما إهالة وسمنا، لقد فضلتهم على أهل الوبر وما سبقهم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعترف فأووه والباغي فناوئوه".

ولقد كان مسيلمة من فصحاء العرب، وكان إذا تكلم على سجية وفي حدود طاقته جاء الكلام خير من هذا الكلام بكثير، ولكنه لما أراد أن يعرض للناس معجزته

[1] صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني و دلائل مصدره الرباني، دار عمار للنشر و التوزيع، ط 1 ، 1421 هـ، ص 16.

[2] عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، جدار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط 1، 2007 م ص 26.

القرآنية المكذوبة انحط لسانه إلى هذا الدون المضحك السخيف، ولقد أطال الجاحظ في كتابه الحيوان في السخرية به بقرآنه.[1]

هو برأينا دليل آخر ملموس على إعجاز القرآن الكريم، فإذا كان أصحاب الخبرة والبيان والطاقة قد عجزوا، فغيرهم أعجز، والمقصود بعجز الناس عن الإتيان بمثل القرآن هو أن يأتوا بكلام أي كان أسلوبه ومنهجه، وطريقته، بشرط أن يكون في مستوى القرآن بلاغة وبيانا.[2]

2-وجوه إعجاز القرآن الكريم: اختلف العلماء في وجوه إعجاز القرآن، وكان هذا الاختلاف متأخرا بعد القرون الخيرية الأولى، بمعنى أنه لم يختلف الصحابة والتابعون وتابعو التابعين في وجوه الإعجاز وإنما حدث الاختلاف فيما بعد ذلك وكان الاختلاف في وجوه الإعجاز في العصر الحاضر أكثر.

من العلماء من اكتفى بالقول بالإعجاز البياني، ومنهم من أضاف له وجوها أخرى تتعلق بمضامين القرآن وموضوعاته وحقائقه، فقال بالإعجاز العلمي، والإعجاز الغيبي، والإعجاز التشريعي، والإعجاز النفسي، والإعجاز العددي، والإعجاز الطبي والإعجاز الموسيقي، والإعجاز الحركي... ومنهم من قال بالإعجاز بالصّرفة، ومنهم من اعتبر السّنّة معجزة كالقرآن، فقال بالإعجاز في القرآن والسنة!![3]

أ_الإعجاز البلاغي للقرآن: يظل الإعجاز البياني أو البلاغي أهم جانب من جوانب إعجازه لأنه الواضح بالنسبة للعرب، ولأنه هو الذي شده به العرب عند أول نزوله فحيرهم، وهم المدركون لأساليبه، العارفون لمنهجه.[4]

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ط 1، 1998 م، ج 3، ص35.

[2] عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآني الكريم، ص 24.

[3] صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط 1، 2000، ص 105.

[4] محمد أبو زهراة، المعجزة الكبرى: القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م، ص97.

ومن خلال ما قيل يمكن استخلاص الأوجه الآتية:

- نظم حروف، والتئام كلماته، وعجيب تأليفه، ووضع كل لفظ موضعه على ما استقرت عليه طبيعة البلاغة، وتعليق هذه الألفاظ بعضها ببعض وبناء بعضها على بعض، وجعل هذه سبب من تلك.[1] ومراعاة التلاؤم بين معاني الكلمات المفردة واجتماعها منظومة لتؤدي معنى شامل.

- خروجه عن المعهود من نظام كلام العرب وأوجه خطابهم، واختصاصه بأسلوبه المتميزة واختلافه في تصرفه عن طرق كلامهم المعتاد، فهو ليس بشعر، ولا بكلام موزون غير مقفى، وبكلام مسجوع، ولا مرسل إرسالا.

إذا كانت كل شطرة وشطرات الشعر لا تتصف بجمال النظم وحسن النسق إذا فصلت عن أختها، أو عن ما يتبعها و يسبقها من شعر، فهو عكس ما هو مشاهد في القرآن من أن كل آية ذات نسق كامل و بلاغة لا مثيل لها، ومعاني ساحرة لا يختلف في ذلك وجيزها وطولها.[2]

فيقول مالك ابن نبي عن هذه الفكرة بأسلوبه الخاص:" تتميز اللغة الجاهلة بالتعبير الموسيقي الموزون في شكل أبيات من شعر وبالتعبيرات المجازية التي تستعير عناصرها من سماء بلا سحاب، وصحراء بلا حدود....وقد جاء القرآن فطوى بعبقرية الخاصة هذه اللغة كما يعبر عن فكرة عالمية، واختار القرآن للتعبير عن هذه الفكرة صورة جديدة هي الجملة. فالآيات القرآنية قد أقصت شعر البادية جانبا، وإن ظل نسقه باقيا، إذ هي تحررت من الوزن فحسب، فاتسع مجالها".[3]

يشبه أثر الموسيقى والشعر ويزيد عنه أنه دائما في لحن متنوع متجدد يطرد الملالة مهما تكرر التلاوة. وقد كان هذا هو أول شيء أحسته الأذن العربية من يوم

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، نشر مكتبة الخانجي، دمشق، ط 2 ، 1987 م، ص 98.

[2] نعيم الحمصي، فكر إعجاز القرآن، ص 230.

[3] مالك ابن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ط 3، 1968 م، ص231.

نزل القرآن، حتى خيل إليهم أنه شعر، لأنهم أدركوا في إيقاعه وترجيعه لذة، أخذتهم منها هزة.[1]

- التحام أجزائه بعضها ببعض، سواء على مستوى السورة كلها، أو على مستوى الآية مع الآية التي تسبقها أو تتبعها. وهذا الالتحام متوفر على السواء في السور التي أنزلت آياتها متفرقة أو أنزلت دفعة واحدة.

وقد تحدث العلماء كذلك عن وحدة السورة وتلاحم أجزائها مهما تعددت أغراضها وكثر تصريف الحديث، أو تلوين الخطاب فيها ومهما تنقلت بين الموضوعات المختلفة، من تشريع وقصص ومواعظ وحجاج ووعد ووعيد.

فكأن السورة في ائتلافها وتناسق أجزائها بناء هندسي قد أحكم فنه وزاد إتقانه، حتى صار كلا لا يتجزأ.[2]

- دقة تعبيره، وسلامة ألفاظه مما يشين اللفظ، واختيار كلمات بحيث لا يمكن إبدال كلمة من القرآن بأخرى تنوب عنها تماما، فالقرآن شديد الدقة فيما يختار من لفظ يؤدي به المعنى ليصور به ما حدث أو سيحدث أحسن تصوير أو بلاغة، وعلى سبيل المثال قوله تعالى:﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾.[3]

- تنوع موضوعاته رغم ما قد يبدو في بعضها من تكرار، وأكثر ما يظهر ذلك في القصص القرآني الذي وإن بدا مكررا، فإنه لم ينشىء في الحقيقة أي نوع من التكرار نظرا لتقديمه في صور مختلفة، وأساليب متنوعة، فكل مشهد في القصة يختلف عن سابقه في كليات أو جزئياته.

[1] محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى: القرآن، ص 101.

[2] نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن ، ص 404.

[3] سورة إبراهيم، الآية 6.

والحكمة من تكرار القصص القرآني تثبيت بعض المعاني في الأذهان بأشكال متعددة، وكذلك التفنن في القول ليتجلى إعجاز القرآن وقصور الطاقة البشرية على تقليده.

- تصويره الفني، مع الإبداع في العرض، والجمال في التنسيق، والقوة في الأداء – وقد كان هذا هو الملمح الثاني– إلى جانب الإيقاع الموسيقي – الذي لفت نظر العرب منذ اللحظة الأولى، ومما يدل على ذلك أنهم سحروا به منذ أول نزوله ودون أ ن يظهر إعجازه التسريح ، وصلاحيته لكل زمان ومكان، ودون احتواء على أخبار الغيب أو العلوم الكونية في خلق الإنسان والكون، ولهذا يقول سيد قطب:" كانت السمة الأولى للتعبير القرآني إتباع طريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية، وإبرازها في صورة حسية، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية والحوادث الماضية والقصص المروية والأمثال القصصية ومشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب والنماذج الإنسانية...كأنها حضارة شاخصة بالتخيل الحسي الذي يفهمها بالحركة المتخيلة".[1]

- في القرآن ما هو أروع و أبدع في التأليف اللفظي، وهو النظر إلى دلالة الألفاظ من حيث هي أداة لتصوير المعاني ونقلها من نفس المتكلم إلى نفس السامع وهي أعظم الناحيتين أثرا في الإعجاز اللغوي، فاللغات تتفاضل من حيث هي بيان أكثر مما هي أجراس وأنغام، وقد صيغة معاني القرآن بحيث يصلح أن يخاطب بها الناس كلهم على اختلاف مداركهم وثقافتهم وعلى تباعد أزمنهم وبلدانهم، ومع تطور علومهم واكتشافاتهم ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا** ﴾.[2] فالعربي العادي يفهم منها معنى الانبساط والاتساع، والمثقف يفهم منها معنى التكوير والاستدارة، وكلاهما موجود في اللغة.[3]

[1] نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، ص 346.

[2] سورة النازعات، الآية 30.

[3] نعيم الحمصي، فكرة إعجاز القرآن، ص 377.

• طور القرآن ألفاظ اللغة من فنقلها من قابلية التعبير عن الحياة البسيطة الخارجية الداخلية لبدوي إلى قابلية التعبير عن الثقافة الجديدة والحياة الوليدة، فانتقلت اللغة العربية – في شكل طفرة– من المرحلة اللهجية الجاهلية إلى لغة منظمة فنيا، وبهذا أوجد القرآن ظاهرة فريدة في تاريخ اللغات، إذ لم يحدث للغة العربية تطور تدريجي، بل شيء يشبه الانفجار الثوري المباغت.[1]

• اشتمل القرآن على صور من البديع لا تجتمع في عمل أدبي واحد، صدق ابن حزم حين رفض عقد أي مقارنة بين بلاغة القرآن وبلاغة أي مخلوق على وجه الأرض:" القرآن في أعلى درجات البلاغة من حيث أن الله قد بلغ به ما أراد فهو في هذا المعنى في الغاية التي لا شيء أبلغ منها، و ليس هو أعلى درج البلاغة في كلام المخلوقين لأنه ليس من نوع كلامهم، لا من أعلاه ، ولا من أدناه، ولا من متوسطه".

ب_ الإعجاز الغيبي: كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو بذاته ينفي عن نفسه علم الغيب، قال تعالى:﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [2] فلا شك أ ن الوحي الإلهي كان ينطقه كما أن الصدق المطلق الذي رافق القرآن الكريم من يوم نزوله إلى يوم انقطاع الوحي بالتحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى أمر يجب التوقف والتدبر، إن الصدق في أخبار القرآن الكريم ظاهرة لا يستطيع إنكارها أحد، حتى الذين عادوا الإسلام، ولقد أدرك مشركوا العرب هذه الحقيقة من خلال اختلاطهم برسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به، حيث صدقة الحوادث الكونية كثيرا مما أخبرهم به القرآن الكريم.[3]

إن هذه الأنباء الصادقة التي جاء بها القرآن الكريم لدليل ظاهر وبرهان قاهر على أنه كلام رب العالمين الذي يستوي عنده علم السابق والأحق لا تخفى عليه

[1] مالك ابن نبي، الظاهرة القرآنية، ص 231–233.

[2] سورة الأعراف، الآية 188 .

[3] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار مسلم للنشر والتوزيع، ط 2، 1996 م، ص 297.

خافية، لقد ظهر صدق القرآن الكريم لكل ذي عينين في عشرات الحوادث التي أخبر عن وقوعها في المستقبل ووقعت بالفعل.[1]

هذه وجوه إعجاز القرآن الكريم من حيث محتواه ومضمونه ذكرناها بإيجاز وهي بالغة الأهمية وليس مما يتصوره العقل البشري.

ج- الإعجاز التشريعي: إن هذه التشريعات تهدف إلى هداية الإنسان في حياته الدنيا إلى أقوم السبل التي تحفظ للإنسان إنسانيته وتطلق طاقاته الإيجابية نحو الكلمات البشرية وتحفظ له نظريته المستقيمة، وتوفر له التوازن الدقيق في متطلباته الجسدية المادية وأشواقه الروحية، مع انسجام تام في المحاكمات العقلية، مما يثمر الطمأنينة النفسية والسعادة في حياته الدنيا، وهي الروح والمادة فأشبعت كلا منهما في الإنسان بما يناسبها ووفرت السعادة والطمأنينة في الحياة الدنيا وأزالت القلق عن النفوس من المستقبل مع مراعاة الفطرة وتلاؤمها معها، لدليل على أن أحدا من البشر لا يستطيع أن يدرك هذه المجالات أو يحيط بها، وهي برهان ساطع على أنها منزلة من خالق الإنسان الذي أودع فيه هذه الطاقات والقدرات والاستعدادات فأنزل ما ينظمها جميعا ويوجهها لعبادة الخالق سبحانه وتعالى وتكون الدلالة أوضح والبرهان أظهر عندما تعلم أن الذي نزلت عليه كان أميا لم يتلق العلم على يد أحد من البشر، ولم يعرف بتجواله في الآفاق بحثا عن النظريات والدساتير الإصلاحية.[2] كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِيْ مَرَجَ البَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبَ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحَ أُجَاجَ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وحِجْرًا مَحُورًا﴾[3] وقوله أيضا﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهَ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[4]

إن الإعجاز التشريعي لآية بينة على أن القرآن الذي اشتمل عليه هو كلام الله أنزله على قلب عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من ظلمات

[1] نفسه، ص 298.

[2] فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، سناء فضل عباس، عمان، 1991، ص 296.

[3] سورة الفرقان، الآية 53.

[4] سورة النمل، الآية 61.

الانحراف والضلال إلى نور الإيمان والهداية والتمسك بحبل الله المتين قال تعالى: ﴿هوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.[1]

د- الإعجاز العلمي: إن الإشارات التي وردت في الذكر الحكيم تتحدث عن بديع صنع الخالق سبحانه وتعالى في هذا الكون الفسيح في مختلف مجالاته، وتتحدث عن النفس الإنسانية وأعماقها وعواطفها ومشاعرها، بلغت هذه الإشارات من السعة والشمول مبلغا لا تستطيع أجيال من العلماء الإطاحة بها، مهما أتوب ها من وسائل وإمكانيات وجهود وطاقات. كقوله تعالى:﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ ﴾.[2]

إن سوق القرآن الكريم هذه الحقائق بهذه السعة والشمول، وبهذه الدقة المتناهية يحمل كل صاحب عقل منصب إلى القول بأن هذا تنزيل العزيز الحكيم الذي أحاط كل شيئا علما فإن البشرية كلها عاجزة عن الإحاطة بهذه الحقائق والوصول إلى ماهيتها وأسرارها فهل يعقل أن يكون هذا القرآن من عند رجل أمي عاش في بيئة أمية لم يذكر التاريخ عن أسلافها تقدما في فنون علوم الكون أو النفس البشرية.[3]

قال تعالى:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا(4) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (5) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[4]

---

[1] سورة الصف، الآية 09 .

[2] سورة يس، الآية 38.

[3] مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ص 246.

[4] سورة الفرقان ، الآية (4-6)

ومن كل ما سبق نستنتج أن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى، لأنه معجز بألفاظه ومعانيه رغم الانتقادات الموجهة له من طرف فئة من المشككين والمعارضين في إعجازه، إلا أن هناك دلائل كثيرة تبطل هذه الشكوك من خلال وجوه الإعجاز.

II- الفصل الثاني

مفهوم الإعجاز و وجوهه عند الباقلاني

1- المبحث الأول: الإعجاز قبل الباقلاني

2- المبحث الثاني: الإعجاز عند الباقلاني

1-الإعجاز قبل الباقلاني:

يعتبر الباقلاني من كبار العلماء الذين اهتموا بموضوع الإعجاز القرآني، ويتضح هذا من خلال كتابه إعجاز القرآن الذي ضم روح عصره.

في البداية نتطرق إلى إعجاز القرآن قبله:

أ_النظام: (ت 231 هـ) اقترن اسم الصّرفة باسم النظام، واشتهر أنه أول المنادين بها. وممن حملوا لواء الاعتزال واصل بن عطاء، يدلي برأيه في الإعجاز بعد أن قرأ في كتب الفلاسفة، واتصل بالثقافات الفارسية والهندية واليونانية، كما تعلم المسيحية ولاهوتها، وكان يميل في عمله إلى التجربة والقياس، ولا يقبل التسليم بالمنقول والمأثور.... ومن ثم كان رأيه:" أن الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما التأليف و النظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم".[1]

وهذا ما ذهب إليه النظام هو ما عر ف بمذهب الصّرفة.[2] بمعنى أن العرب إنما عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن أو بسورة من مثله لأن الله سبحانه قد صرفهم عن ذلك وأمسك بهم أن يقوموا له، ولو قاموا له وقالوا لكان في وسعهم أن يقولوا مثل قوله لأنه من جنس الكلام الذي جرى على ألسنتهم شعرا ونثرا.

وفيما زعمه النظام يقول الشهرستاني " قول النظام في إعجاز القرآن أنه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية، وجهة صرف الدواعي عن المعارضة

[1] مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار صبح لبنان، ط 1، ص 134.

[2] صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي،دراسة نقدية أدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، 2003 م، ص 22.

ومنع العرب عن الاهتمام به جبرا وتعجيزا، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله بلاغة وفصاحة ونظما".[1]

وإذن يتضح من كلام النظام أن وجود الإعجاز عنده أمران:

الأول: بأن إعجاز القرآن كان لما فيه من إخبار عن الغيب، وهو ما لم يقدر عليه البشر أن يأتوا بمثله، كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[2].

الثاني: أن الإعجاز كان أيضا بهذه الصّرفة التي أحدثها الله في الناس، حتى أنهم عجزوا كذلك عن الإتيان بمثل هذا القرآن.. كقوله تعالى: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾.[3]

ب-الجاحظ: (ت 255 هـ): لم يكتب لمذهب النظام الذيوع حتى بين علماء المعتزلة أنفسهم الأمر الذي دعا الجاحظ إلى أن يكون أول الخارجين عليه، وكان يرى الجاحظ أن إعجاز القرآن إنما هو في نظمه وتأليفه، ومن أجل ذلك ألف كتابه" نظم القرآن" وأظهر فيه رأيه في بيان القرآن بشكل يوضح الحجة في إعجازه، وهذا رأيه في بيان القرآن بشكل يوضح الحجة في إعجازه، وهذا الكتاب وإن لم يعثر له على أثر، إلا أننا عرفناه من خلال مؤلفات آخري للجاحظ.

---

[1] أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل،ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1992 م، ص 82.

[2] سورة النساء، الآية: 82.

[3] سورة الأنفال، الآية 31.

ويقول الجاحظ في شأن إعجاز القرآن " ولو أن رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة واحدة لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها".[1]

ولقد كان من أهم ما التفت إليه الجاحظ براعة النظم في لقرآن حيث أن التنزيل قد أولى اللفظ عناية خاصة فاختاره بدقة ليدل على المعاني بدقة، وقد يشترك لفظان في المعنى، ولكن أحدهما أحق من الآخر في الدلالة عليه.

وإلى هذا كله يشير الجاحظ في كتابه "البيان والتبيين" فيقول " وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث....".[2]

كما بين الجاحظ ميزة أخرى في الألفاظ وهي أنها تأتي متصاحبة دائما كالجنة والنار الجن والإنس...ولم يلتفت الجاحظ في دراسات القرآنية إلى تلك الدقة في اختيار الألفاظ فقط بل تناول أيضا الأسلوب القرآني في عظمة تصويره وروعة تعبيره، فتعرض مثلا للصورة القرآنية التي كانت حافزا لأبي عبيدة أن يؤلف كتابه" المجاز"

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة بيروت، طبعة جديدة منفحة و مصححة، ص 251،252.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان،ج3، ص34.

حيث يقول تبارك وتعالى في شجرة الزقوم:﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾.[1]

فيقول: وليس أن الناس رأوا شيطانا قط على صورة، ولكن لما كان الله تعالى قد جعل في طباع الأمم استقباح جميع صور الشياطين، وقد أجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك: رجع بالإيحاش والتنفير في طباع الأولين والآخرين.[2]

ومما يتصل كذلك بصورة التشبيه في القرآن الكريم قول الجاحظ في قوله تعالى:﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175)وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ وإن تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ﴾.[3]

يقول الجاحظ " ليس ببعيد أن يشبه الذي أوتي الآيات والأعاجيب والبرهانات والكرامات في بدء حرصه عليه بالكلب إذا أتعب نفسه في شدة النباح مقبلا عليك ومدبرا عنك لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش".[4]

وهنا نرى الدقة بادية في إيراد الجاحظ لخاصية الكلب ليتضح وجه الشبه والغرض من التشبيه حتى يكون الأمر سهلا في متناول العقول.

كما أشار الجاحظ أيضا إلى أن القرآن معجز بالصّرفة، وكان هذا جليا في كتابه " الحيوان" حين سرد أنواع من العجز، إلا أن الصدفة التي قال بها الجاحظ في

[1] سورة الصافات، الآية (64_65)

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان،ج3، ص 39.

[3] سورة الأعراف، الآية (175_176).

[4] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان،ج3، ص 62.

كلامه لم تكن تعني المفهوم الذي أراده النظام، لأن الجاحظ قد أجهد نفسه ليثبت ويؤكد أن القرآن معجز في ذاته، وأن أروع النظم فيه خير دليل و برهان... فالناس عاجزون عنه بداهة، سواء صرفوا أو لم يصرفوا.[1]

ج_ابن قتيبة: (ت 276 هـ) ولقد كان ابن قتيبة من أولئك الذين تأثروا بدراسات الجاحظ وأفادوا منها، ولعل من أبرز نواحي ذلك التأثير هو ما تناول فيه ابن قتيبة الحديث عن ألفاظ القرآن ومدلولاتها في كتابه" تأويل مشكل القرآن".

ومن الصفحة الأولى في " تأويل المشكل" يبدأ ابن قتيبة بإثارة قضية الإعجاز حيث يبدأ تقديمه قائلا " الحمد لله الذي نهج لنا سبل الرشاد، وهدانا بنور الكتاب.... وقطع منه بمعجزة التأليف أطماع الكاذبين، وأبان بعجيب النظم المتكلمين وجعله مثلوا لا يمل على طول التلاوة...".[2]

وبهذا يشير إلى أن الإعجاز إنما هو بالنظم والتأليف ويضع أيدينا على بعض الأمثلة لهذه الآيات المحكمات كقوله تعالى:﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾.[3]

كيف جمع له بهذا الكلام كل خلق عظيم...؟ لأن في خذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين، وإعطاء المانعين...وفي تقوى الله، وصلة الأرحام، وصون اللسان عن الكذب، وفي الإعراض عن الجاهلين الصبر والحكم وتنزيه النفس عن مماراة السفيه.

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان،ج3، ص 55.

[2] صلاح الدين محمد عبد التواب، إعجاز القرآن دراسة نقدية أدبية حول إعجاز القرآن، ص 34.

[3] سورة الأعراف، الآية 199.

ولما ربط ابن قتيبة الإعجاز بالنظم بما يطرأ على الكلمة المفردة من حركات إعرابها وبنائها وتغير معناها بتغير الحروف فيها، وما لذلك كله من أثر في نظم القرآن فيقولون رجل لعنه (بتسكين العين) إذا كان يلعنه الناس فإن كان هو الذي يلعن الناس قالوا: رجل لعنه (بفتح العين)، وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغير حرف في الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين كقولهم للأكل بأطراف الأسنان قضم وبالفم خضم، وللنار إذا طفئت هامدة وإذا بقى من جمرها شيء خامدة، ويأتي دور الحديث عن المجاز وأهميته في لغة العرب التي بها نزل القرآن وجعله ابن قتيبه مدخلا للكلام عن قضية ترجمة القرآن المنقول عنه إلى المعنى المنقول إليه وخاصة في لغة تميزت باتساع في المجاز، ويعد ابن قتيبة أول من آثار هذه القضية وقال بعدم إمكانية ترجمة القرآن إذ بهذه الترجمة تفقد الآيات تلك الروح التي تسرى في النص الأصلي و بها يكون ويصبح الأسلوب والحالة هذه من صنع المترجم لا من صنع الله، ومن ثم تنفى صفة الإعجاز البلاغي التي تحدى الله بها الأقوام على مر الدهور.[1]

الأمور السالفة الذكر بعض القضايا التي تناولها ابن قتيبة في فكرة الإعجاز ، ولا شك في أن هذه الدراسات خدمت كثيرا فكرة الإعجاز.

د_الرماني: (ت 385 هـ): يظهر من مقدمة كتابه :"النكت في إعجاز القرآن" أنه كان جوابا لسؤال وجه له، حيث يقول: "سألت وفقك الله عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج، وأنا أجتهد في بلوغ محبيك والله الموفق للصواب بمنه ورحمته، وصلى الله عليه سيدنا محمد وآله وصحبه" ثم يبدأ في سرد وجوه الإعجاز ...وفيما يلي مقتطفات من كتابه النكت تبين رأي الرماني في إعجاز القرآن:

[1] مصطفى مسلم، إعجاز القرآن، ص 61.

– **يقول الرماني:** "وجوه إعجاز القرآن تظهر من سبع جهات: ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة، التحدي للكافة، الصدفة، الأخبار الصادقة عن الأمور المستقلة، نقض العادة وقياسه بكل معجزة".[1]

– قدم الرماني الحديث عن البلاغة لأهمية الوجه عنده، أما الوجوه الثلاثة قبلها والوجوه الثلاثة بعدها، فقد أرجأ الحديث عنها إلى آخر الرسالة ليتكلم عنها بإيجاز.

– ويقول: "فأما البلاغة فهي ثلاث طبقات: منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط، بين أعلى طبقة وأدنى طبقة، فما في أعلاها طبقة فهو معجز، وهو بلاغة القرآن، وما كان منها دون تلك فهو ممكن كبلاغة من البلغاء الناس.

وليس البلاغة إفهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيني، ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ المعنى وهو غث مستكره ونافر متكلف، وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ... فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة، وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر المفحم، فهذا معجز للمفحم خاصة كما أن ذلك معجز للكافة".[2]

ويقسم الرماني بعد ذلك البلاغة إلى عشرة أقسام هي: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان.

---

[1] الرماني أبو الحسن على بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح وتعليق: محمد خلق الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، بمصر، ط 2، 1968، ص 75.

[2] نفسه، ص 76.

والمأخوذ الذي أخذ على الرماني في كتابه أنه جعل الصّرفة وجها من وجوه الإعجاز، وعلى الرغم من أنه لم يدافع عن هذا الوجه ولم يشرحه، إلا أن مجرد ذكره من بين وجوه الإعجاز وتأييده بقوله:"وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي تظهر منها للعقول".[1]

كما أن حجج الرماني على القول بنفي السجع من القرآن لم تكن بالمستوى الذي يحمل المرء على الاقتناع بها وترك المحسوس المشاهد من وجده في الآيات الكثيرة والسور المتعددة.

وقد تناول العلماء هذا الموضوع – وجود السجع في القرآن– وأشبعوه بحثا ولا مجال هنا لإيراد أقوالهم.

هـ_الخطابي: (ت 388 هـ):تعرض في كتابه لآراء العلماء الذين سبقوه بالحديث عن إعجاز القرآن وبلاغته، مما يدل على أنه استفاد من الذين ألفوا قبله في هذا الموضوع وطريقة شبيهة بطريقة الرماني في عرض الكلام البليغ والأساليب البليغة والاستشهاد على ذلك من كلام العرب ثم الانتهاء إلى بلاغة القرآن، والمقارنة بين أسلوب القرآن وغيره من الأساليب.[2]

لقد اطلع الخطابي على ما كتبه السابقون عن إعجاز القرآن كالجاحظ وابن قتيبة والرماني، وكان موضوع النظام القرآني هو ميدان البحث في كتابات المتصدين لبيان وجه الإعجاز، إلا أن حديث الخطابي عن النظم القرآني يختلف بعض الاختلاف عن حديث الجاحظ وعن حديث ابن قتيبة والرماني، فبينما اهتم السابقون ببيان وجوه المجاز والاستعارات والتشبيهات: واستخدام الألفاظ المختارة للدلالة على الأغراض

[1] الرماني أبو الحسن على بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ص 97.

[2] عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف مصر، 1391هـ، ص 89.

المعينة، وقارنوا كل ذلك بما ورد عن العرب في أشعارهم وخطبهم وفصيح كلامهم في محافلهم، وأبرزوا مزايا القرآن الكريم على كل ذلك، نجد الخطابي بعدا جديدا إلى مفهوم إلى مفهوم النظم حيث يقول:"إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ الحامل ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة...".[1]

ولعل جانبا آخر تميزت به نظرية الخطابي في الإعجاز وهو مزيتا القرآن الكريم التي قال عنها الخطابي(صفتا الفخامة والعذوبة) يقول في ذلك: "...فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة، وأخذت من كل نوع من أنواعها شعبة فالنظام لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة وهما على الإنفراد في نعومتهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة، والجزالة والمتانة في الكلام تعالجان نوعا من الوعورة....".[2]

فهذه المزايا في نظم القران الكريم هي التي أعجزت العرب عن الإتيان بمثل اقصر سورة منه.

وهكذا نجد الخطابي قد استوجب ما قال سابقوه في وجوه الإعجاز وعمق مفهوم النظام القرآني بهذه التقسيمات، بالإضافة إلى ما تعرض له في كتابه في الرد على الصّرفة والقائلين بها، وما أورده وجوه أخرى في الإعجاز وإن لم يرتضها كالقول بالإعجاز الغيبي لان سور القران لا تشتمل على أخبار بالغيب، وقد جعل كل سورة من القران معجزة قائمة بذاتها، ثم يذكر من وجوه الإعجاز ما قاله عنه: "إن الناس قد

[1] الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، تح وتعليق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، 1968 م، ص 27.

[2] نفسه، ص 26.

ذهبوا عنه فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم وهو صنيعة بالقلوب وتأثيره في النفوس، فانك لا تسمع كلاما غير القران منظوما أو منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب – من اللذة و الحلاوة في الحال، ومن الروعة والمهابة في أخرى– ما يخلص من القران إليه، تستبشر به النفوس، وتنشرح له الصدور...".[1]

وهكذا نجد الخطابي قد عمق مفهوم النظم القرآني بإضافات جديدة ومعاني لطيفة وسديدة.

نلاحظ من كل ما سبق حول الإعجاز قبل الباقلاني أن مؤلفي القرن الرابع هجري، لم يأتوا بجديد في الموضوع، وإنما دخل ميدان المعركة فيه والكلام عليه طائفة المفسرين، كما نرى في هذا العصر ظاهرة جديدة لم تكن واضحة في القرن الثالث و هي أن الأدباء أصبحوا يؤلفون كتبا مستقلة في البلاغة تعنى بالإعجاز وكان مؤلفوها ممن تأثروا قليلا أو كثيرا بعلم كالرماني والحطابي، وعلى حين كان الجاحظ في القرن الثالث أديبا ومعتزليا، كما أن العصر الرابع لم يخل ممن رموا بما نسميه الآن بحرية الفكر.

2-الإعجاز عند الباقلاني:

2-1 ترجمة الباقلاني: أ_اسمه: هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم ، القاضي أبو بكر الباقلاني.[2]

مولده: ولد في البصرة، وسكن بغداد، و بها تعلم العلم، ثم رجع إلى البصرة بعد بلوغه الأستاذية حتى استدعاه عضد الدولة على شيراز.[1]

[1] الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القران ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، ص 70.

[2] صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ، ج3، ص 147.

قال السيد أحمد صقر: " ولم يعين أحد من المؤرخين عام ولادته".

ب_شيوخه: تتلمذ على أيدي شيوخ من أشهرهم:

- محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب بن مجاهد لطائي وهو من طبقة الأشعري وأخذ عنه الباقلاني العقيدة.
- أبو الحسن الباهلي: أكثر عنه الباقلاني وهو من أشهر تلاميذه أبي الحسن الأشعري(ت 370 هـ) تقريبا.
- القطيعي: أحمد بن جعفر بن حمدان، ينسب إلى منطقة سكنه سمع منع الباقلاني علم الحديث.
- الدارقطني: علي بن عمر بن احمد بن مهدي الحافظ الكبير، أخذ عنه الباقلاني علم الحديث ومصطلحه.[2]
- العسكري: الحسن بن عبد الله بن سعيد، أخذ عنه الباقلاني مسائل في النقد والبلاغة وعلم البيان.[3]

ج_ و من تلامذته: للباقلاني تلامذة نذكر منهم:

- أبو ذر الهروي، اسمه عبد بن أحمد محمد الخرساني الهروي.
- عبد الله بن نصر الحراني.

---

[1] ابن عساكر الدمشقي، تبيين كذب المفتري، القسي دمشق، الشام ، 1347هـ ، ص 119.

[2]محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح جماعة من العلماء، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 6، 1409 هـ،ج1، ص 305.

[3] محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج3 ، تح: جماعة من العلماء، ص 413.

- أبو عمران قاضي المغرب، أيمه موسى بن عيسى الفاسي.
- علي بن محمد الحربي.
- أبو جعفر السمناني، اسمه محمد بن احمد السمناني.[1]

د_ثقافته: بعد أن وصل الإمام الباقلاني إلى مرتبة الأستاذية في عصره بدا التدريس والتصنيف فكان ورده في كل ليلة عشرين ترويحة في الحضر والسفر، فإذا فرغ منها: كتب خمسا وثلاثين ورقة من تصنيفه".[2]

وقال علي الحربي: " جميع ما كان يذكر أبو بكر ابن الباقلاني من الخلاف بين الناس صنفه من حفظه، وما صنف احد خلافا إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين سواء ابن الباقلاني".[3]

وضم على التدريس والتصنيف رحلات ومناظرات علمية فمنها أن أرسله أمير المؤمنين إلى طاغية الروم وجرت له هناك أمور ففطن لها وأفحم الطاغية.

هـ_صفاته: وكان حافظا قوى الاستذكار، فكان يجمع علمه وعلم الناس في صدره، وكان من أفصح الناس ذا تقى وورع ودين وكان ثقة إماما بارعا صنف في الرد على الرافضة، والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية وانتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري وقد يحالفه من مضائق، وقد اخذ علم النظر عن أصحابه وتفوق فيه حتى سماه بعضهم منظر المذهب الأشعري.[4]

---

[1] نفسه، ص 554.

[2] أحمد بن علي الخطيب لبغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 5، 1349هـ ، ص 280.

[3] نفسه، ص 281.

[4] ابن عساكر الدمشقي، تبيين كذب المفتري، ص 119.

و_وفاته: توفي غفر الله له و رحمه في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة (304 هـ) وصلى عليه ابنه الحسن ودفن بداره ثم حول إلى مقبرة باب حرب ورثاه بعض أهل العصر بقوله (البسيط):

انظر إلى جبل تمشي الرجال به وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلف

انظر إلى صارم الإسلام منغمدا وانظر إلى درة الإسلام في الصدف.[1]

ي_ مصنفاته: وله من المصنفات الشيء الكثير ومنها: التمهيد، الإبانة عن أبطال مذهب أهل الكفر والضلالة، شرح اللمع، الأصول الكبير في الفقه، الانتصار لصحة نقل القرآن، هداية المسترشدين.[2]

وأعظمها انتشارا وشهرة كتاب إعجاز القرآن، وفيه شبه بكتابه الآخر هداية المسترشدين.

ولقد حاول الأستاذ السيد أحمد صقر حصر مؤلفاته وبيان موضوعاتها في مقدمة تحقيقه لكتاب إعجاز القران، وكذلك د.عبد الرؤوف مخلوف في مقدمة دراسته لكتاب لإعجاز القرآن.[3]

2_2التعريف بكتابه(إعجاز القرآن): وهو أول كتب الباقلاني نشرا وأشهرها ذكرا، وهو أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلي يومنا، فهذا الكتاب عظيم الخطر، شريف المباحث، سلس العبارة، متين الأسلوب قوي الحجة، كيف لا ومصنفه معروف بقوة الحجة

[1] صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، الوافي بالوافيات،ج3، ص 588

[2] عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، نشر دار المسيرة، بيروت، ط 2، 1399 هـ،ج2، ص 351.

[3] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن ، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط 3، 1423هـ، ص3.

والذكاء ونصاعة البيان، جامع في بابه قرابة خمسمائة صفحة، يصنفه أمام من أئمة السنة والمصنف " اثر جليل يدل على حذف المتكلمين لبيان فضلا عن حدقهم لعلم الكلام... ولعل اكبر جهد قام به المؤلف لبيان إعجاز القرآن هو جهده في كتابه إعجاز القرآن".[1]

حيث ذكر الباقلاني في مقدمته أن الذين ألفوا في " معاني القرآن" من علماء اللغة والكلام، لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته، والدلالة على مكانة، مع أن الحاجة إلى ذلك البيان أمس، والاشتغال به اوجب، فهو أحق بالتصنيف من الجزء والطفرة والأغراض وغريب المحو وبديع الإعراب، وأن ما صنفه العلماء في هذا المعنى جاء غير كامل في بابه، قد أخل بتهذيبه و أهمل ترتيبه، وقد التمس لبعضهم العذر فيما وقع منه من تفريط لان بيان وجه الإعجاز " مما لا يمكن بيانه إلا بعد التقدم في أمور عظيمة المقدار، دقيقة المسلك، لطيفة المأخذ".[2]

فان كتاب الباقلاني كتاب بلاغي من حيث أخذه لجانب الإعجاز والبحث في الأدلة والرد على المخالفين، وكتاب نقدي من حيث المقارنة والموازنة التي أجراها بين ألفاظ الشعر والخطابات وألفاظ القرآن الكريم ومن حيث الأسلوب القرآني وأساليبه وبين كلام العرب، حيث تكلم عن الفصاحة والشعر وجودته وفي نفس الأمر قام بمفاضلة ما بين الأبيات الشعرية والخطب والمؤلفات لينتهي إلى القول بأن القرآن الكريم معجزة في كل شيء خلاف ما في شعر الشعراء.

[1] محمد موسى الشريف، إعجاز القرآن الكريم، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة، سلسلة الرسائل الجامعية4 ، ص 185.

[2] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 76.

حيث جعل إثبات أن القرآن هو النموذج الأعلى الذي قهر البلغاء وطأطأ رؤوس الفصحاء وأنه المثال الذي لا بد أن يهتدي في التعبير ومن هنا كان الكتاب وغيره كتابا نقديا.

فهذا هو الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن، قد تعرض فيه لما يمكن أن يتعرض له ناقد حديث حينما ينقد نصا ليبين رأيه فيه، بموضوعية تقوم على أساس من افهم السليم وبتذوق متأثر بما يوحي به النص من المعاني بعد الكشف عنه مستعينا في الرأي بما عرف عن السابقين من دراسات اللغة ومقاييس الأسلوب الجميل.[1]

كان من الجهود المثمرة في ميدان الإعجاز القرآني ما بذله أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني – من علماء الاشعرية والذي وجد الملاحدة في عصره يعدلون القرآن ببعض الأشعار، ويوازون بينه و بين غيره من الكلام، حتى أنهم قد فضلوا الشعر عليه– فكان لزاما على مثل هذا العالم الأديب أن يدفع تلك الأباطيل عن كتاب الله في الوقت الذي رأى فيه غيره من أهل العلم قد قصر عن الدفاع، وأن ما صنفه العلماء في هذا المجال يبدو في نظره قاصرا في الإبانة عن وجه المعجزة ولكنه يعود فيلتمس العذر لتقصير البعض، لأن تحديد وجه الإعجاز" مما لا يمكن بيانه إلا بعد التقدم في أمور عظيمة المقدار دقيقة المسلك لطيفة الأخذ".[2]

ولقد كان طبيعيا قبل أن يتحدث الباقلاني عن فكرة الإعجاز، وعن الوجوه المعجزة في كتاب الله أن يتعرض لبعض المسائل التمهيدية، كبيان شرف القرآن الكريم

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 79.

[2] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن ، ط 3، 1423هـ، ص5.

ووجوب العناية من جانب المسلمين، وبيان أن هذا القرآن هو المعجزة الآلة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم.[1]

ولا يفوته هنا أن يبين أن الأصل في الدلالة على أن القرآن معجزة هو تحقيق النص القرآني، والعلم يكون القرآن المرسوم في المصاحف هو الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم." الطريق إلى معرفة ذلك هو النقل المتواتر الذي يقع عنده العلم الضروري به".[2]

كما لم يلفت الباقلاني الرد على القائلين بالصفة، وكان رد به عليهم: "أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة، لم يكن الكلام معجزا، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه".[3]

وبعد آن استعرض الباقلاني مثل هذه الأمور التمهيدية وجه همته ليتحدث بدوره عن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.

2-3 مفهوم الإعجاز عند الباقلاني: وهب الباقلاني حياته وعمله للدفاع عن عقيدة السلف، والرد على المخالفين من الجهمية والمعتزلة والخوارج وغيرهم، وتعد أراء الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن الترجمة العلمية لما جال في خاطره، ولما اعتمل في ذهنه من أمور، حيث وجد أن انسب ما يمكن أن يقال، هو التأليف حول إعجاز القرآن.

[1]صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي دراسة نقدية أدبية حول إعجاز القرآن، دار الكتاب الحديث، 2003م ،ص97.

[2]القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 16.

[3]نفسه، ص 70.

من خلال دراستنا لكتاب الباقلاني وكتب غيره التي ذكرته نرى بأنه لم يصرح بطريقة مباشرة عن هذا المفهوم، ولكن يتضح لنا أن مفهوم الإعجاز عنده يتمثل في:

أ_**بيان إعجاز القرآن:** فأما من كان متناهيا في معرفة وجوه الخطاب وطرق البلاغة والفنون التي يمكن فيها أظهار الفصاحة، فهو سمع القرآن عرف إعجازه، فهذا القول أدى إلى أن يقال: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف إعجاز القرآن حيث أوحي إليه، حتى سبر الحال بعجز أهل اللسان عنه، وهذا خطأ من القول.

فصح من هذا الوجه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أوحي إليه القرآن عرف كونه معجزا.[1]

ب_العجز واقع في بني البشر على أن يأتوا بمثله: "متى القرآن عرف أنه معجز، لأنه يعرف من حال نفسه أنه لا يقدر عليه وهو يعرف من حال غيره مثل ما يعرف من حال نفسه، فيعلم أن عجز غيره كعجزه هو وإن كان يحتاج بعد هذا إلى استدلال أخر على انه علم على نبوته، ودلالة على رسالته، بأن يقال: أن هذه أية لنبي، وأنها ظهرت عليه، وادعاها معجزة له، وبرهانا على صدقه.

واستشهد بما روى في الحديث أن جبير بن مطعم ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في معنى حليف له، أراد آن يفاديه، فدخل والنبي صلى الله وسلم يقرأ سورة الطور﴿وَالْطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ في صلاة الفجر، قال : فلما انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ، مَالَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾[2] قال: خشيت أن يدركني العذاب فأسلم.[3]

---

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص36.

[2]1سورة الطور، الآبة(7_8)

[3]القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن ،ص44.

ج_الإعجاز الذي تحدى بع العرب لم يكن في غير القرآن من الكتب السماوية:
فان قيل: فهل تقولون بأن غير القرآن من كلام الله عز وجل معجز، كالتوراة والإنجيل والصحف؟.

قيل: ليس شيء من ذلك بمعجز في النظم والتأليف، وإن كان معجزا كالقرآن فيما يتضمن من الإخبار عن الغيوب، وإنما لم يكن معجزا لأن الله تعالى لم يصف به القرآن، لأنا قد علمنا أنه لم يقع التحدي إليه كما وقع التحدي إلى القرآن".[1]

د_ذكر الإمام الباقلاني في كتابه ثلاثة أوجه الإعجاز ثم أراد التفصيل في الوجه الثالث حيث قسمه إلى عشرة معاني.

هـ_وصف شعر الشعراء قياسا، بما تقدم من وصف للقرآن و على ما سيأتي:

قال: ومنها انه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه: الفصاحة، الغرابة، والتصرف البديع، والمعاني اللطيفة، وفوائده الغزيرة، والحكم الكثير، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، وعلى الطول وعلى هذا القدر، وإنها تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة، وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة، يقع فيها ما نبنيه مع هذا من الاختلال ويعترضها ما نكتشفه من الاختلاف، ويقع فيها ما نبديه من التكلف والتعسف.[2]

2-4 وجوه الإعجاز عند الباقلاني: تتحدد وجوه الإعجاز عند الباقلاني في ثلاثة أوجه هي:

القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن ،ص44.

[2]نفسه، ص 106.

الوجه الأول: "يتضمن الإخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر، لا سبيل له إليه، فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام انه سيظهر دينه على الأديان بقوله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾.[1] ففعل ذلك وكان أبو بكر الصديق رضي الله عليه إذا أغزى جيوشه، عرفهم ما وعدهم الله من إظهار دينه، ليثقوا بالنصر، ويستيقنوا بالنجاح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل كذلك في أيامه، حتى وقف أصحاب جيوشه عليه، فكان سعد بن أبي وقاص رحمه الله، وغيره من أمراء الجيوش من جهته يذكر ذلك لأصحابه، ويحرضهم به، ويوثق لهم، وكانوا يلقون الظفر في مواجهاتهم، حتى فتح إلى أخر أيام عمر رضي الله عنه إلى بلخ، وبلاد الهند وفتح في أيامه مرو الشاهجان ومرو الروذ ومنعهم من العبور بجيجون وكذلك فتح في أيامه فارس إلى اصطخر وكرمان، ومكران وسجستان وجميع ما كان من مملكة كسرى، وكل ما كان يملكه ملوك الفرس بين البحرين من الفرات إلى جيجون".[2]

وأزال ملك الملوك الفرس فلم يعد إلى اليوم، ولا يعود أبدا إن شاء الله تعالى ثم إلى حدود أرمينية وإلى باب الأبواب، وفتح أيضا ناحية الشام، والأردن وفلسطين وفسطاط، مصر، وأزال ملك قيصر عنها، وذلك من الفرات إلى بحر مصر وهو ملك قيصر، وغزت الخيول في أيامه إلى عمورية، فأخذ الضواحي كلها ولم يبق دونه إلا ما حجز دونه بحر، أو حال عنه جبل منيع، أو أرض خشنة، أو بادية غير مسكونة.

[1] سورة التوبة، الآية 33 .

[2] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن ، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر، ط 5، 1423هـ، ص 28.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.[1]
فصدق فيه و قال في أهل بدر: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ ﴾.[2]

ووفى لهم بما وعد، وجميع الآيات التي يتضمنها القرآن، من الإخبار عن الغيوب، يكثر جدا، وإنما أردنا أن ننبه بالبعض إلى الكل.

الوجه الثاني: أنه كان معلوما من حال النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان أميا لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، وكذلك كان معروفا من حاله انه لم يكن يعرف شيئا من كتب المتقدمين وأقاصيصهم، وأنبائهم وسيرهم.[3]

ثم أتى بجملة ما وقع وحدث من عظمات الأمور، ومهمات السير من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعثه، فذكر في الكتاب الذي جاء به معجزة له، قصة آدم عليه السلام، وابتدئ خلقه، وما صار إليه أمره من الخروج من الجنة، ثم جملا من أمر ولده وأحواله في توبته، ثم ذكر قصة نوح عليه السلام وما كان بينه وبين قومه وما انتهى إليه أمره وكذلك أمر إبراهيم عليه السلام، إلى ذكر سائر الأنبياء صلوات الله عليهم.

ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه، إلا عن تعلم، وإذا كان معروفا أنه لم يكن ملابسا لأهل الآثار وحملة الأخبار، ولا مترددا إلى التعلم منهم، ولا كان ممن يقرا فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه علم انه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من

[1] سورة آل عمران، الآية 12.
[2] سورة الأنفال، الآية 7.
[3] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 50.

جهة الوحي، ولذلك قال عز وجل: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾.[1]

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾.[2] و قد بينا إن من كان يختلف إلى تعلم علم ويشتغل بملابسة أهل صنعة، لم يخف على الناس أمره، ولم يختلف عنهم مذهبه، وقد كان يعرف فيهم من يحسن هذا العلم وأن كان نادرا، وكذلك كان يعرف من يختلف إليه للتعليم، وليس يخفى في العرف عالم كل صنعة ومتعلمها فلو كان منهم لم يخف أمره".[3]

الوجه الثالث: "أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة، إلى حد الذي يعلم عجز الخلق عنه، والذي أطلقه العلماء هو على هذه الجملة ونحن نفصل ذلك بعض التفصيل ونكشف الجملة التي أطلقوها."

فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوه منها:

ـمعنى أول: "ما يرجع إلى الجملة وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه واختلاف مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد، وذلك أن الطرق التي يتقيد بها الكلام البديع المنظوم، تنقسم إلى أعاريض الشعر على اختلاف أنواعه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفى، ثم إلى أصناف الكلام المعدل إرسالا، فتطلب فيه الإصابة والإفادة وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع،

[1] سورة العنكبوت، الآية 48.

[2] سورة الأنعام، الآية 105.

[3] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 30

وترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلا في وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمل ولا يتصنع له.[1]

وقد علمنا أن القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطرق، ويبقى علينا أن نبين انه ليس من باب السجع، ولا فيه شيء منه، وكذلك من قبيل الشعر لأن من الناس من زعم انه كلام مسجع، ومنهم من يدعي أن فيه شعرا كثيرا، وكلام عليهم يذكر بعد هذا الموضع، فبهذا إذا تأمله المتأمل تبين بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم، أنه خارج عن العادة، وأنه معجز، وهذه خصوصية ترجع إلى جملة القرآن، وتميز حاصل في جميعه، ومنها انه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة، والغرابة والتصرف البديع والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثير والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة على هذا الطول، وعلى هذا القدر."

ـومعنى ثان: "إنما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة، ويقع فيها ما نبديه من التعمل والتكلف والتجوز والتعسف.[2]

وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة على ما وصفه الله تعالى به فقال عز من قال: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[3]و قال أيضا:﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾.[4] فاخبر أن كلام الآدمي إن امتد وقع فيه التفاوت، وبان عليه الاختلال، وهذا المعنى هو غير المعنى الأول الذي بدأنا بذكره."

---

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص 51 .

[2] نفسه، ص 30

[3] سورة الزمر، الآية 23.

[4] سورة النساء، الآية 82.

_ **معنى ثالث:** "وهو أن عجيب نظمه، وبديع تأليفه، لا يتفاوت ولا يتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ، احتجاج وحكم، وإحكام وإعذار، وإنذار، ووعد ووعيد وتبشير وتخويف وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة وشيم رفيعة، وسير مأثورة، وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها، ونجد الكلام البليغ الكامل ، والشاعر المغلق، والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور.

فمن الشعراء من يجود في المدح دون الهجو، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح، ومنهم يسبق في التقريظ دون التأبين، ومنهم من يجود في التأبين دون التقريظ، ومنهم من يغرب في وصف الإبل والخيل، أو سير الليل، أووصف الحرب، أو وصف الروض، أو وصف الحمر، أو الغزل ا ير ذلك، مما يشتمل عليه الشعراء ويتداوله الكلام.[1]

ولذلك ضرب المثل بامرئ القيس إذ ركب، والنابغة إذا رهب، وبزهير إذا رغب ومثل ذلك يختلف في الخطب والرسائل وسائر أجناس الكلام، ومتى تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت تفاوت ف شعره على حسب الأحوال التي يتصرف فيها، فيأتي بالغاية في البراعة في معنى، فإذا جاء إلى غيره فتمر عنه، ووقف دونه، وبأن الاختلاف على شعره، ولذلك ضرب المثل بالذين سميتهم لأنه لاختلاف في تقدمهم في صنعة الشعر، ولا شك في تبريزهم في مذهب النظم، فإذا كان الاختلال بينا في شعرهم لاختلاف ما يتصرفون فيه، واستغنينا عن ذكر من هو دونهم، وكذلك يستغنى عن تفضيل نحو هذا في الخطب والرسائل و نحوها ونجد في الشعراء من يجود في الرجز، ولا يمكنه نظم القصيدة أصلا، ومنهم من ينظم القصيدة، ولكن يقتصر فيه مهما تكلفه

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ط1، ص 31.

أو عمله ومن الناس من يجود في الكلام المرسل فإذا أتى بالموزون قصر ونقص نقصانا عجيبا، ومنهم من يوجد بضد ذلك.[1]

وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والوصف، لا تفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا اسفال فيه إلى الرتبة الدنيا، وكذلك قد تأملنا ما يتصرف إليه وجوه الخطاب من الآيات الطويلة والقصيرة، فرأينا الإعجاز في جميعها على حد واحد لا يختلف وكذلك قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة ذكر القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت، بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، فعلمنا بذلك انه مما لا يقدر عليه البشر، لأن الذي يقدرون عليه د بينا فيه التفاوت الكثير عند التكرار، وعند تباين الوجوه واختلاف الأسباب التي يتضمن."

ـومعنى رابع: "وهو كلام الفصحاء بتفاوت تفاوتا بينا في الفصل والوصل ، والعلو والنزول، والتقريب والتبعيد، وغير ذلك مما ينقسم إليه الخطاب عند النظم، ويتصرف فيه القول عند الضم والجمع، ألا ترى أن كثير من الشعراء قد وصف بالنقص عند التنقل من معنى إلى غيره، والخروج من باب إلى سواه، حتى ا ناهل الصنعة قد اتفقوا على تقصير المحتوى مع جودة نظمه وحسن وصفه في الخروج من التسبب إلى المديح، وأطبقوا على انه لا يحسبه ولا يأتي فيه بشيء، والتحول من باب إلى باب ونحن نفصل بعد ذلك ونفسر هذه الجملة، وتبين على أن القرآن على اختلاف ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة، يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص54.

كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حد الآحاد، وهذا أمر عجيب تتبين فيه الفصاحة و تظهر به البلاغ، ويخرج به الكلام عن حد العادة، ويتجاوز العرف."[1]

ـومعنى خامس: "وهوان نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الإنس والجن، فهم يعجزون عن الإتيان بمثله كعجزنا، ويقصرون دونه كقصورنا وقد قال الله عز وجل:﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾.[2]

فان قيل: هذه دعوى منكم، وذلك أنه لا سبيل لنا إلى أن نعلم عجز الجن عن مثله، وقد يجوز أن يكونوا قادرين على الإتيان بمثله وأن كنا عاجزين كما أنهم قد يقدرون على أمور لطيفة وأسباب غامضة، دقيقة لا نقدر نحن عليها، ولا سبيل لنا للطفها إليها، وإذا كان كذلك لم يكن إلى علم ما ادعيتم سبيل قيل: قد يمكن أن نعرف ذلك بخير الله عز وجل، وقد يمكن أن يقال أن هذا الكلام خرج عل ما كانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن، وما يرون لهم من الشعر، ويحكون عنهم من الكلام، وقد علمنا أن ذلك محفوظ عندهم، منقول عنهم، والقدر الذي نقلوه قد تأملناه، فهو في الفصاحة لا يتجاوز حد فصاحة الإنس، ولعله يقصر عنها، ولا يمنع أن يسمع الناس كلامهم، ويقع بينهم محاورات في عهد الأنبياء صلوات الله عليهم.[3]

وذلك الزمان مما لا يمتنع فيه وجده ما ينقص العادات، على أن القوم إلى الآن يعتقون مخاطبة الغيلان، ولهم أشعار محفوظة مروية في دواوينهم قال: تأبط شرا:

وادهم قد حدا الصبح جلبابه كما احتابت الكاعب الخيعلا

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص32..

[2] سورة الإسراء، الآية 88.

[3] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص32.

إلى أن حدا الصبح أثناءه ومزق جلباه الأليلا

على شيم نار تنورتها فبت لها مدبرا مقبلا

فأصبحت والفول لي جارة فياجارتا انت ما اهولا.

وإذا كان القوم يعتقدون كلام الجن ومخاطباتهم، ويحكمون عنهم وذلك القدر المحكي لا يزيد أمره على فصاحة العرب، صح ما وصف عنهم من عجزهم عنه، كعجز الإنس، ويبين ذلك من القرآن أن الله تعالى حكي عن الجن ما تفاوضوا فيه من القرآن فقال: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾.[1]

إلى أخر ما حكى عنهم فيما يتلوه، فإذا ثبت انه وصف كلامهم، ووافق ما يعتقدون من نقل خطابهم، صح أن يوصف الشيء المألوف بأنه ينحط عن درجة القرآن في الفصاحة.

وهذان الجوابان أسد عندي من جواب بعض المتكلمين عنه، بأن عجز الإنس عن القرآن يثبت له حكم الإعجاز، فلا يعتبر غيره، ألا ترى انه لو عرفنا من طريق المشاهدة عجز الجن عنه، فقال لنا قائل: فدلوا على أن الملائكة تعجز عن الإتيان بمثله، لو يكن لنا في الجواب، لأن الذي حكى و ذكر عجز الجن والإنس عن الإتيان بمثله، فيجب أن نعلم عجز الجن عنه كما علمنا عجز الإنس عنه، ولو كان وصف عجز الملائكة عنه لوجب أن نعرف ذلك أيضا بطريقة فان قيل: أنتم قد انتهيتم إلى ذكر الإعجاز في التفاصيل، وهذا الفصل إنما يدل على الإعجاز في الجملة، قيل هذا

[1] سورة الأحقاف، الآية 29.

كما انه يدل على التفصيل أيضا، فصح أن يلحق هذا القبيل، كما كان يصح أن يلحق بباب الجمل".[1]

ـومعنى سادس: "وهو أن الذي ينقسم عليه الخطاب من البسيط والاقتصار والجمع، والتفريق، والاستعارة والتصريح، والتجوز والتحقيق ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم، موجودة في القرآن الكريم، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة، وقد ضمنا بيان ذلك بعد لأن الوجه هنا ذكر المقدمات دون البسيط والتفصيل."

ـومعنى سابع: "وهو أن المعاني التي تتضمن في أصل وضع الشرعية والإحكام والاحتجاجات في أصل الدين، والرد على الملحدين على تلك الألفاظ البديعة، وموفقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة، مما يتعذر على البشر، ويمنع ذلك أنه قد علم أن تخير الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة، والأسباب الدائرة بين الناس، أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة، وأسباب مؤسسة مستخدمة، فلو أبرع اللفظ في المعنى البارع، كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول والأمر المقرر المتصور، ثم أن أضيف ذلك التصرف البديع في الوجوه التي تتضمن تأييد ما يبدأ تأسيسه، ويراد تحقيقه، بأن التفاضل في البراعة والفصاحة، ثم اذا وجدت الألفاظ وفق المعنى، و المعاني وفقها، لا يفضل احدها على الأخر، فالبراعة اظهرو الفصاحة أتم".[2]

ـومعنى ثامن: "وهو أن الكلام يبين فضله ورجحان فصاحته، بأن نذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر فتأخذه الإسماع، وتتشوق إليه النفوس ويرى

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص57.

[2] نفسه، ص34.

وجه رونقه باديا غامرا سائر ما يقرن به، كالدرة التي ترى في سلك من خرز، وكياقوتة في واسطة العقد.

وأنت ترى الكلمة من القرآن يتمثل بها في تضاعيف كلام كثير، وهي غرة جميعه وواسطة عقده، والمنادى على نفسه بتمييزه وتخصصه برونقه، مما يحتاج فيه إلى تفصيل وشرح ونص ليتحقق ما ادعيناه منه، ولولا هذه الوجوه التي بيناها لم يتحير فيه أهل الفصاحة، ولكانوا يفزعون إلى التعمل للمقابلة، والتصنع للمعارضة، وكانوا ينظرون في أمرهم، ويراجعون أنفسهم، أو كان يراجع بعضهم بعضا في معارضته، ويتوقفون لها فلما لم نرهم اشتغلوا بذلك، علم أن أهل المعرفة منهم بالمتعة، إنما عدلوا عن هذه الأمور لعلهم بعجزهم عنه، وقصور فصاحتهم دونه، ولا يمتنع أن يلتبس على من لم يكن بارعا فيهم ولا متقدما في الفصاحة منهم هذه الحال، حتى لا يعلم إلا بعد نظر و تأمل، وحتى يعرف حال عجز غيره إلا أنا رأينا صناديدهم وأعيانهم ووجوههم سلموا ولم يشتغلوا بذلك تحقيقا بظهور العجز وتبينا له.[1]

وأما قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ﴾.[2]

فقد يمكن أن يكونوا كاذبين فيما أخبروا به عن أنفسهم، وقد يمكن أن يكون هذا الكلام إنما خرج منهم وهم يدل على عجزهم، و لذلك أورده الله مورد تقريعهم، لأنه لو كانوا على ما وصفوا به أنفسهم لكانوا يتجاوزون الوعد إلى الإنجاز، والضمان إلى الوفاء.

لما لم يستعملوا ذلك مع استمرار التحدي وتطاول زمان الفسحة في إقامة الحجة عليهم بعجزهم، إذ لو كانوا قادرين على ذلك، لم يقتصروا على الدعوى فقط.

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص64.

[2] سورة الأنفال، الآية 31.

ومعلوم من حالهم وحميتهم أن الواحد منهم يقول في الحشرات، والهوام والحياة، وفي وصف الأزمة والاتساع والأمور التي لا يؤبه لها، ولا يحتاج إليها ويتنافسون في ذلك أشد التنافس، ويتبجحون به أشد التبجح، فكيف يجوز أن تمكنهم معارضته في هذه المعاني الفسيحة والعبارات الفصيحة، مع تضمن المعارضة تكذيبه والذي عن أديانهم القديمة، وإخراجهم أنفسهم من تسفيهه رأيهم وتضليله إياهم، والتخلص من منازعته، ثم من محاربته ومقارعته ثم لا يفعلون شيئا من ذلك، وإنما يحيلون أنفسهم على التعاليل ويعللونها بالأباطيل."[1]

ـومعنى تاسع: "وهو أن الحروف التي بنى عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا وعدد السور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة، وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجز نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفا ليدل بالمذكور على غيره، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم، والذي ينقسم إليه هذه الحروف علاما قسمه أهل العربية وبنوا عليها وجوهها أقسام نحن ذاكروها، فمن ذلك أنهم قسموها إلى حروف مهموسة وأخرى مجهورة، فالمهموسة منها عشرة وهي : الحاء، الهاء، الخاء، الكاف، الشين والثاء، الفاء ، التاء، الصاد والسين وما سوى ذلك من الحروف فهي مجهورة.

وقد عرفنا أن نصف الحروف المهموسة مذكورة في جملة الحروف المذكورة في أوائل السور، وكذلك نصف الحروف المجهورة على السواء، لا زيادة ولا نقصان.

والمجهور معناه: أنه حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع أن يجرى معه، حتى ينقضي الاعتماد، ويجرى الصوت والمهموس كل حرف ضعف الاعتماد في

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص36.

موضعه، حتى جرى معه النفس، وذلك مما يحتاج إلى معرفته لتبتنى عليه أصول العربية.

وكذلك هما يقسمون إليه الحروف، يقولون إنها على ضربين: أحدهما حروف الحلف، وهي ستة أحرف: العين، الحاء، الهمزة، الهاء، الخاء والعين، والنصف من هذه الحروف مذكورة في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المبينة في أوائل السور، وكذلك النصف من الحروف التي ليست بحروف الحلف.[1]

وكذلك تنقسم هذه الحروف إلى قسمين آخرين: أحدهما حروف غير شديدة وإلى الحروف الشديدة، وهي التي تمنع الصوت أن يجرى فيه وهي: الهمزة القاف، الكاف، الجيم، الظاء، الذال، الطاء والباء، وقد علمنا أن نصف هذه الحروف أيضا هي مذكورة في جملة تلك الحروف التي بنى عليها تلك السور، ومن ذلك الحروف المطبقة، وهي أربعة أحرف، وما سواها منفتحة فالمطبقة: الطاء، الظاء، الضاد، والصاد، وقد علمنا أن نصف هذه في جملة الحروف المبدوء بها في أوائل السور.

وإذا كان القوم الذين قسموا في الحروف هذه الأقسام، لأغراض لهم في ترتيب العربية وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ورأوا مباني اللسان على هذه الجهة، وقدني هبها ذكر في أوائل السور على ما لم يذكر على حدا لتصنيف الذي وصفنا، دل على أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل لا يجوز أن يقع إلا من الله عز وجل، لأن ذلك يجرى مجرى علم الغيوب، وإن كان إنما نبهوا على ما بنى عليه اللسان في أصله، ولم يكن لهم في التقسيم شيء، وإنما التأثير لمن وضع أصل اللسان، فذلك أيضا من البديع الذي يدل على أن أصل ومنعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان، فإن كان أصل اللغة توقيفا

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ص66.

فالأمر في ذلك أبين، وإن كان على سبيل التواضع، فهو عجيب أيضا لأنه لا يصح أن تجتمع همهم المختلفة على نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالى.

وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف على حد يتعلق به الإعجاز من وجه، وقد يمكن أن تعاد فاتحة كل سورة لفائدة تحصها في النظم إذا كانت حروفا كنحو (آلم) لأن الألف المبدوءة بها هي أقصاها مطلعا، واللام متوسطة، والميم متطرفة، لأنها تأخذ في الشفة، فننبه بذكرها على غيرها من الحروف، وبين أنه إنما أنا هم بكلام منظوم بما يتعارفون من الحروف التي تردد بين هذين الطرفين.

ويشبه أن يكون التصنيف وقع في هذه الحروف دون الألف لأن الألف قد تلغى، وقد تقع الهمزة وهي موقعا واحدا".[1]

_ومعنى عاشر: "وهو أنه سهل سبيله، فهو خارج عن الوحشي المستنكره، والغريب المستنكر، وعن الصنعة المتكلفة، وجعله قريبا إلى الإفهام، يبادر معناه لفظه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارته إلى النفس، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتفائل، غير مطمع مع قربة في نفسه، ولاموهم مع دنوه في موقعه، أن يقدر عليه، أو يظفر به.[2]

فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلى رتبة الكلام المبتذل والقول المسفسف فليس يصح أن تقع فيه فصاحة أو بلاغة، فيطلب فيه التمنع، أو يوضع فيه الإعجاز ولكن لو وضع في وحشى مستنكره، أوغمر بوجوه الصنعة، وأطبق بأبواب التعسف والتكيف، لكان لقائل أن يقول فيه: ويعتذر ويعيب ويقرع، ولكنه أوضح مناره وقرب منهاجه، وسهل سبيله، وجعله في ذلك متماثلا، وبين مع ذلك إعجازهم فيه وقد علمت أن كلام

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، ص37.

[2] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص69.

فصحائهم، وشعر بلغائهم، لاينفك من تصرف في غريب مستنكر، أو وحشي مستنكر ومعان مستبعدة، ثم عدولهم إلى كلام متبذل وضيع ولا يوجد في الرتبة، ثم تحولهم إلى كلام معتدل بين الأمرين، متصرف بين المنزليين، فمن شاء أن يتحقق هذا نظر في قصيدة أمرئ القيس .

"فقا نبك من ذكرى حبيب ومنزل"

ونحن نذكر بعد هذا على التفصيل، ما يتصرف إليه هذه القصيدة ونظائرها ومنزلتها من البلاغة، ونذكر وجه نظم القرآن محلها، على وجه يؤخذ باليد ويتناول من كتب، ويتصور في النفس كتصور الأشكال، لبين ما ادعيناه من الفصاحة العجيبة للقرآن.

واعلم أن من قال من أصحابنا إن الأحكام معللة يعلل موافقة مقتضى العقل، جعل هذا وجها من وجوه الإعجاز، وجعل هذه الطريقة دلالة فيه كنحو ما يعللون به الصلاة، ومعظم الفروض وأصولها، ولهم في كثير من تلك العلل طرق قربية، ووجوده تستحسن وأصحابنا من أهل خراسان يولعون بذلك، ولكن الأصل الذي يبنون عليه عندنا غير مستقيم، وفي ذلك كلام يأتي في كتابنا في الأصول.

وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والإفراد، فإنا جميعنا بين أمور وذكرنا المزية المتعلقة بها، وكل واحد من تلك الأمور مما قد يمكن اعتقاده في إظهار الإعجاز فيه، فإن قيل: فهل تزعمون أنه معجز لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه، أو لأنه عبارة عنه، أو لأنه قديم في نفسه، قيل: لسنا نقول بأن الحروف قديمة، فكيف يصح التركيب على الفاسد؟.[1]

[1] القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، ص38.

ولا نقول أيضا إن وجه الإعجاز في نظم القرآن أنه حكاية عن الكلام القديم، لأنه لو كان كذلك كانت التوراة والإنجيل، وغيرها من كتب الله عز وجل، معجزات في النظم والتأليف، وقد بينا أن إعجازها في غير ذلك، وكذلك كان يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها، ومتفردها، وقد تثبت خلاف ذلك."

خلاصة: يتبين من (تلخيصلنا للباقلاني) قيمته وشمول بحثه وإلمامه بما قيل حتى زمانه وتناوله لأكثر الآراء بالنقد، ويظهر لنا من مقارنة المؤلف بين ما ينسبه العرب إلى الجن من أقوال وبين القرآن ثم من قوله بفكرة التصنيف في حروف أوائل السّور، أنه يتناول الأمور أحيانا تناولا سطحيا لا نوافقه عليه لأنه بعيد عن الروح العلمية التي تثبت لها مثل هذه الآراء وتدرك أن النظريات الإسلامية في الإعجاز قد أخذت في نهاية القرن الرابع وبداية الخامس نوعا من الاستقرار سرى على الأعصر، فإن علم الكلام كان قد تكامل في هذا الوقت، ووجود المتكلمين المتأخرين انتهت إلى هذا البناء الذي تم وضعه.

ينتقد الرافعي كتاب الباقلاني برغم اعترافه بعظم شأنه فيقول:" على أن كتاب الباقلاني هو إن كان فيه الجيد الكثير وكان الرجل قد هذّبه وصفّاه وتصنّع له، إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره، ولم يتحاش وجها من التأليف لم يرضه من سواه" وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ :" فلم يكشف عما يلتبس في أكثر من هذا المعنى ومرجع الإعجاز فيه إلى الكلام وإلى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول... وقد حشر إليه أمثلة من كل قبيل... واستراح إلى النقل" وهو يذكر أنه لم يقم بما أخذ على نفسه القيام به, ولكنه لا ينكر قيمة الكتاب من حيث وفاؤه بما قصد إليه من أمهات المسائل.

خاتمة

خاتمة:

إن القرآن العظيم له تأثير كبير على نفوس من يسمعه أو يقرأه سواء كان كافرا أو مؤمنا، وقد ثبت أن الكافر إذا أنصف فإنه ينتهي إلى الإسلام والإيمان بهذا الكتاب وأنه من عند الله حقا وصدقا، حدث ذلك في عصر الرسالة، وفي عصور مختلفة حتى عصرنا الحاضر.

إن الحديث عن الإعجاز في القرآن مع الإجابة والإتقان أمر سوف تطيل الجهود الإنسانية متضافرة عليه إلى يوم الدين، ونجد أنفسنا دائما أمام بحر زاخر واسع لا تنقضي عجائبه ولا تنفذ كنوزه وذخائره.

_القرآن هو كلام المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقولة بالتواتر المتعبد بتلاوته والمعجز بألفاظه.

_الإعجاز أثبت بأن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى والدليل على ذلك أن الكثير منهم عجزوا على الإتيان بمثله.

_وللإعجاز وجوه عديدة تظهر لنا أن القرآن معجز بكل ما فيه ومن هذه الوجوه نجد:

_الإعجاز البلاغي للقرآن تظهر فيه عدة مميزات تميزه وهي نظم حروفه والتئام كلماته ودقة تعبيره وسلامة ألفاظه وتنوع موضوعاته وغيرها.

_الإعجاز الغيبي يخبر عن أحداث وقعت في المستقبل .

_الإعجاز التشريعي ففيه إجازات تشريعية تهدف إلى هداية الإنسان .

_الإعجاز العلمي بديع صنع الخالق سبحانه وتعالى .

وكل هذه الوجوه تظهر وتأكد مدى إعجاز القرآن .

ومن خلال غوصنا في هذا البحر توصلنا إلى أن ما أورده الباقلاني يتلخص في الأمور الآتية:

- الجديد الذي أتى به الباقلاني هو التفصيل والردود المطولة التي ناقش فيها الآخرين انظر مثلا الفصل الأول الذي عقده في نفي الشعر عن القرآن والآخر في نفي السجع عن القرآن.

- ولقد أكثر الباقلاني من ذكر نصوص من خطب النبي صلى الله عليه وسلم وخطب أبي بكر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم.كما اختار نماذج من الشعر المشهور له بالجودة من شعر امرئ القيس وقصيدة البحتري.

- أن القرآن في نفسه حجة للنبوة ومعجزة، وأن الذهاب عنها كالذهاب عن الضروريات والشك في المشاهدات، ويورد من القرآن ما يؤديه في هذا المعنى.

- كان الرأي السائد في عصرنا أن القرآن معجز لمعاصري النبي من العرب دون سواهم، وهو يقول بأنه معجز لكل عصر، ويكفي أن نقارنه بغيره من الكلام في كل عصر لنتبين فضله في ذلك.

- إذا ثبت أن القرآن معجز وأن الخلق لا يقدرون عليه، ثبت أنّ الذي أتى به غيرهم, وأنه إنما يختص بالقدرة عليه من يختص بالقدرة عليهم.

- الدليل على أن العرب لم يأتوا بمثله,النقل المتواتر الذي يقع به العلم الضروري,ويردّ على من يقولون بانّ العرب ربما لم يعلموا أن النبي تحدّاهم وأنّ النبي كتم آيات التحدّي عنهم، ويسعى ليثبت أن النبي قد بلغهم إياها وأن في القرآن ما يدل على أنهم ردوا على التحدي بتهمته بتهمة أن القرآن مخلوق.

- يدرك غير العربي إعجاز القرآن باطلاعه على عجز العرب عنه ونرى أنه يدعو للنظر في نصوص القرآن وغيره من ضروب الكلام في اللغة العربية لمعرفة الفرق بينهما.

- يتعرض لمقدار العجز من القرآن ويذكر قول أبي الحسن الأشعري وعامة أصحابه في أن اقل المعجز أصغر سورة لذا نجده يوافق رأي الأشعري في ذلك.

- تتلخص وجوه إعجاز القرآن في رأي الباقلاني في هذه البراهين:

– احتواء القرآن على تنبؤات عن المستقبل، وهذا خارج عن قدرة البشر.

– كون النبي كان أميا أمر مسلم به، وهو لم يطلع على كتب الأقدمين وقصصهم وتراجمهم، ومع هذا فقد ذكر الحوادث الماضية منذ خلق آدم حتى زمنه فليس من منصرف عن القول بأنه تلقى كل هذا رأسا من الله عن طريق الوحي.

– القرآن يتجاوز قدرة البشر في النظم والأسلوب والبلاغة.

وهذا ما ذكره من تقدموه ويرجع إليه فضل التفصيل فيه، وهو قد اعتنى بالتوسع في البرهان الثالث فذكر الأمور التالية :

- أسلوب القرآن على اختلاف أشكاله خارج عن الأساليب المعروفة وخاص به.

- لم يوجد عند العرب أثر أدبيّ يجاري القرآن في بلاغته بحيث يحفظ فيه جمال الأسلوب ويكون في طوله بمقدار القرآن.

- عرض القرآن لموضوعات شتى في الحكم والأوامر والنواهي، والوعد والوعيد والقصص فأجاد في كل ما جاء به حتى لا يقارن به أحسن الأشعار والخطب وإنما يجيد الشعراء والخطباء في نوع منها وقد أجاد القرآن فيها كلها.

- نرى أن أقسام الكلام تتفاوت في كتابه أحسن الأدباء حتى إذا كتبوا في موضوع واحد، وبخاصة عندما ينتقلون من فكرة إلى أخرى، ونرى القرآن على خلاف ذلك يجمع النواحي المختلفة فيبرزها بطريقة تظهر فيها أنها وحدة منسجمة.

- أسلوب القرآن ليس أعلى من أسلوب الإنس فقط بل من أسلوب الجن أيضا، ويقول بهذا الصدد: ربما قال بعض الناس، كيف نحكم بهذا فليس إلا مجرد ادعاء، لأنه

ليس بين أيدينا كلامهم؟ فيقال: نحن متأكدون على الأقل من أنّ أسلوب القرآن أرفع من أسلوب الكلام الذي ينسبه العرب إلى الجن.

- أساليب الأداء المختلفة الموجودة في كلام العرب من بسط وإيجاز وجمع و تفريق واستعارة وتصريح، موجودة في القرآن، وهي أعلى من تلك إذ قورنت بها.
- تأليف كلام في رأي جديد أصعب من تأليف كلمات في رأي مألوف والقرآن يعبر عن أفكار جديدة بطريقة تفوق قدرة البشر.
- تظهر جودة نظم القرآن و سمو بلاغته إذا أخذت كلمة منه واستعملها في كلام أخر شعر أو نثر فهي تستدعي انتباه القارئ والسامع، وقد يدمج البلغاء الجملة من القرآن في كلامهم فتأتي فيه كالجوهر والحلي.
- إن حروف الألف باء هي (28) حرفا، والمقاطع التي ابتدئ بها بهذه الحروف في القرآن الكريم هي (28) وعدد الحروف المستعملة في هذه البدايات (14) أي نصف هذه المقاطع وقد صنف العلماء الحروف فيما بعد في زمن متأخر إلى حروف حلقية وغير حلقية، ومهموسة ومجهورة ومنفتحة وشديدة وغير شديدة وعدد الحروف المستعملة في هذه البدايات من كل نوع من هذه الأنواع هو نصف عدد النوع، فهذا التصنيف في كل هذه الأصناف دليل على أن معرفة أمور المستقبل معرفة لا يتأتى صدورها إلا من الله.
- لغة القرآن سهلة ومدلولاتها تفهم على أيسر وجه ولا تتخللها كلمات أو تراكيب عويصة ومع ذلك فليس في الإمكان مجاراة أسلوب

قائمة المصادر و المراجع

●قائمة المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- ابن عساكر الدمشقي، تبيين كذب المفتري، القسي دمشق، الشام ، 1347 هـ.

3- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، ط 1، 1412 هـ.

4- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون،ج3، دار الفكر بيروت، ط 1، 1399هـ.

5- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل،ج2، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 2، 1413 هـ، 1992 م.

6- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، مج 1،ج3، دار صادر بيروت، 1414 هـ.

7- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1 1419 هـ،1998 م، ج 3.

8- أحمد بن علي الخطيب لبغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 5 ،1349 هـ.

9- أحمد مختار عمر، لغة القرآن، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ط 2، 1418 هـ 1997م.

10- بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن،ج1، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1410 هـ.

11- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن،ج1، مطبعة حجازي بالقاهرة ط 1.

12- الخطابي أبو سليمان حمد بن إبراهيم، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القران، تح: وتعليق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر، 1968 م.

13- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داودي، توزيع دار البشير، جدة، ط 2 1417 هـ.

14- الرماني أبو الحسن على بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح و تعليق: محمد خلق الله و محمد زغلول سلام، دار المعارف، بمصر ط 2، 1968.

15- صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، الوافي بالوافيات، تح: احمد الارناؤوط، تركي مصطفى، ج3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ، 2000م.

16- صلاح الدين محمد عبد التواب، النقد الأدبي،دراسة نقدية أدبية حول إعجاز القرآن دار الكتاب الحديث، 2003 م

17- صلاح عبد الفتاح الخالدي، إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني، دار عمار للنشر والتوزيع، ط 1 1421 هـ ، 200 م.

18- عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف مصر 1391هـ 1971 م.

19- عبد الحي بن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، نشر دار المسيرة بيروت، ط 2، 1399 هـ.

20- عبد الرحيم مارديني، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، دار آية بيروت، دار المحبة دمشق ط1

21- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، دار المعرفة بيروت طبعة جديدة منفحة و مصححة.

22- علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، نشر دار الكتاب العربي بيروت، ط 1 1405 هـ.

23- عمار ساسي، الإعجاز البياني في القرآن الكريم، جدار الكتاب العالمي،عمان الأردن، ط 1 ،2007 م.

24- فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، سناء فضل عباس، عمان، 1991 ص 296.

25- القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد احمد صقر دار المعارف بمصر، ط 5، 1423هـ، 2003.

26- مالك ابن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت ط 3 1968 م.

27- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ج1، وزارة التربية والتعليم، مصر، 1994 م.

28- محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى: القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977 م.

29- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: جماعة من العلماء، ج1، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 6، 1409 هـ.

30- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العربي بيروت، ج1، ط 1، 1415 هـ، 1995م.

31- محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ط 3، 1421 هـ.

32- محمد متولي الشعراوي، المعجز الخالدة، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان د ت ط ج1،

33- محمد مرتضي الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس،ج3،مطبعة حكومة الكويت 1397 هـ.

34- محمد موسى الشريف، إعجاز القرآن الكريم، دار الأندلس الخضراء اللنشر والتوزيع جدة سلسلة الرسائل الجامعية4.

35- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار صبح لبنان ط 1.

36- مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار مسلم للنشر والتوزيع، ط 2 1416 هـ 1996م.

37- معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج2، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، 1425 هـ.

38- نعيم الحمصي، فكر إعجاز القرآن من عصر النبوة، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1400هـ 1980 م.

39- نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، ط 1، 1414 هـ ،1993م

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وتقدير.

الإهداء.

مقدمة 6

الفصل الأول : مدخل إلى إعجاز القرآن الكريم:

المبحث الأول: الإعجاز القرآني:.....10

1-1 تعريف القرآن الكريم:

أ_لغة.....10

ب_اصطلاحا.....11

1_2مفهوم الإعجاز:

أ_لغة.....12

ب_اصطلاحا.....13

1_3آيات التحدي وعجز محاولات المعارضة.....15

المبحث الثاني: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم.....18

الفصل الثاني: مفهوم الإعجاز ووجوهه عند الباقلاني:

المبحث الأول: الإعجاز قبل الباقلاني.....27

المبحث الثاني: الإعجاز عند الباقلاني:.....36

2_1ترجمة الباقلاني..... 36

2_2التعريف بكتابه.....39

2_3مفهوم الإعجاز عند الباقلاني.....42

2_4وجوه الإعجاز عند الباقلاني.....44

خاتمة 62

قائمة المصادر والمراجع.....67

فهرس الموضوعات.....71